

مناوشات بريئة

قضايا وطنية

مقالات في السياسة

بقلم : الطاهر اعمارة الأدغم



عنوان الكتاب

مناوشات بريئة

قضايا وطنية

مقالات في السياسة

بقلم

الطاهر اعمارة الأدغم

ISBN

978-9969-574-09-8

الإيداع القانوني

نوفمبر 2024

الطبعة



El-oued - Algérie

+213668005970

imprimerierimel39@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِهْدَاء

إلى الأيادي النّظيفة التي حافظت على الجزائر
في عَشْرِيَّتِي الرَّئِيسِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بُوتْفَلِيْقَةٍ..
وَالْعَشْرِيَّةِ الَّتِي سَبَقَتْهَا...

إلى الوطنيين الصادقين
الذين أزاحوا عن بلادنا شَبَحَ السَّقُوطِ الحَرِّ
وكان قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى..

مُقَدِّمَةٌ

الكتابة حول شؤون دولةٍ مثلَ الجزائرِ، وعن شعبٍ مثل الشعب الجزائريِّ، هي قلقٌ من قبلٍ ومن بعد..

قلقٌ قبليٌّ لأنَّ المطلوبَ من الكاتب أن يكون في أشدِّ حالات الحذر واليقظة، لأنَّ المرجوَّ هو الجمعُ بين وصف الآلام، والمحافظة في السطر الذي يليه على الآمال...؟

وقلقٌ بعديٌّ... لأنَّ في أحشاءِ الشَّانِ السِّيَاسِيِّ الجزائريِّ الكثيرُ من الأسرار والغرائب والمفارقات مما يجعل المتابعةَ والكتابةَ تسيرُ جنبًا إلى جنبٍ مع التريثِ الشَّدِيدِ، وحتىَّ الخوفُ بشكلٍ أو بآخر ممَّا قد يظهرُ في أيِّ لحظةٍ لينسفَ أيَّ تحليلٍ أو استنتاجٍ أو قراءة..

وممَّا يزيدُ الطَّيْنَ بِلَّةً تلكَ الهالاتُ الكبيرةُ من الغموضِ أو السَّرِيَّةِ التي يُشاعُ بين العامَّةِ والخاصَّةِ أنَّها تطبعُ قسمًا كبيرًا من دواليبِ آلياتِ صناعةِ القرارِ الجزائريِّ..

وفي النَّهايةِ... هي حواجزُ يعيشُها صاحبُ القلم.. والمؤكَّدُ، أو شبه المؤكَّد، أنَّ بعضها حقيقيٌّ، والبعضُ الآخرُ وهميٌّ أو شكليٌّ ساهمَ الخيالُ الجَمْعِيُّ المرتجفُ في نسجِ خيوطه..

في بيئاتٍ أخرى يرفعُ أحدهمَ قلمه، ويكتبُ ما يريدُ دون إحساسٍ بأيِّ نوعٍ من الحواجزِ والهواجسِ والمخاوفِ، سواء ما تعلَّقَ منها بالجهاتِ الرِّسْمِيَّةِ، أو التَّياراتِ السِّيَاسِيَّةِ والفكريَّةِ والفئاتِ الاجتماعيَّةِ وغيرها..

لماذا...؟

لأنّ ممارسة التّخوين أو التّخبطنة القبليّة صارت من الماضي..
صارت في عداد السلوكيات المنقرضة..
أمّا نحن.. فلا بدّ من مراعاة عدد من الآراء في السياسة، وأخرى في
الوقائع التاريخيّة، وثالثة في المجتمع.. وهكذا..
وكلامي هذا ليس دعوةً للفوضى والخروج عن الثّوابت، لكنّه إدانةٌ
لتنقيسٍ ما ليس مقدّساً من الأساس، لأنّه يحتملُ أكثر من قراءة ووجهة
نظر، وتُستحسنُ فيه إشاعةُ حالةِ الثّراء المزدوجة التي تجمعُ بين الرّأي
والرّأي الآخر، وحتىّ ما بعد الآخر...

.....

ظهرت هذه المقالاتُ على صفحات جريدة (صوت الأحرار)...
والجريدة هي الصّوتُ غير المعلن صراحةً لحزب جبهة التّحرير الوطنيّ
الحاكم في الجزائر، أو الأكثر تأثيراً في دواليب الحكم منذ الاستقلال
عن الاحتلال الفرنسيّ عام 1962.

(صوتُ الأحرار) صوتٌ غير معلن للجبهة، لأنّ الجريدة لا تُعرّف
نفسها مع عنوانها في الصّفحة الأولى على أنّها (لسانُ حال...)، لكنّ
هذا الأمرَ معروفٌ بين جمهور الصّحفيّين والسّياسيين والمتابعين.
هذه المقالات، وغيرها من مقالات الزّملاء الكُتّاب، ظهرت في
صفحة (اتّجاهات) على مدى أكثر من ستّ سنوات من الظهور

الأسبوعي المنتظم... في تلك الصفحة تواترت (خَرْبَشَاتِي)، وكان عنوانٌ مقالي الثَّابت (مناوشات بريئة).

فالشُّكْرُ، كلُّ الشُّكْرِ، للسَّيِّدِ مُحَمَّدٍ نَذِيرٍ بَلْقَرُونِ، الصَّحْفِيِّ والمدير، وإلى طاقم جريدة (صوت الأحرار)، هذا العنوان المقتبس من النَّضال الإعلاميِّ خلال سنوات الحركة الوطنيَّة والإصلاحية التي سبقت ثورة نوفمبر المجيدة 1954.

.....

مقالي الأسبوعيِّ، أو مناوشاتي، كان مساحةً حرَّةً أتناول فيها ما أراه مناسباً..

والمقالُ الصحفيُّ يُصنَّفُ ضِمْنَ الأنواع الفكريةِّ، أو أنواع الرِّأي، في تقسيمات فنيَّات الكتابة الصحفية، أو الأجناس الصحفية.. وجميعها يسعى للتعبير عن الواقع ونقله إلى الجمهور المتلقِّي عبر الوسيلة الإعلامية.

والأنواع الفكرية، أنواع الرِّأي، تهدفُ في الأساس إلى تأطير الجمهور وتوجيهه وغرس القناعات والمواقف والقيم في ذهنه، ومن هنا تبرزُ خطورتها وأهميتها، فأرجو أن تكون (خَرْبَشَاتِي) قد حاولت الاقتراب من هذا الهدف.

وخلال محاضراتي، أمام طلابي، في مادَّة فنيَّات التحرير الصحفيِّ كنتُ أركِّزُ على مقالة الرِّأي وأنها وسطٌ بين الأدب والعلم: فيها شيء من ذاتية الأديب، وشيء من منهجية الباحث..

والذاتية مهمة في المقال.. لكنها إذا طغت عليه تحوّل إلى أدبٍ وانطباعاتٍ وخواطر..

والمنهجية كذلك، والنظرة العلمية، إن زادت جرعتها تحوّل المقال إلى مادة علمية لها أهلها وقراءها ووسائل نشرها من غير الجريدة التي هي ملتقى جميع الفئات والمستويات... أي كلّ من اكتسب مبادئ القراءة ولو في مراحلها الأولى..

.....

مقالات هذا الكتاب ظهرت بين أعوام 2008 و2014...

·
·
·

وبعد هذه السنوات التي مرّت اعترف أنني كنتُ أكتبُ بِحَدَرٍ شديدٍ، وأنّ ما كنتُ أكتبُه في صدري أكثر وأثقل.. فأني لنا أن نكتب كل شيء عن الفساد الخفي والعلمي، والاستبداد المتدنّر بأسمال ديمقراطية بالية، وغير ذلك من حالات الرداءة التي عرفتها بلادنا..

وأكثر من ذلك كتبتُ عدّة مرّات متفائلاً أو مستبشراً أو مشجّعاً لأوضاع وقرارات وتصريحات.. مع أنّ الوضع كان مأساوياً جداً.. لكن لم يكن هناك بدّ من ذلك..

كان التّيّار جارفاً وخطّ الجريدة التّحريريّ الذي نعرفه جيّداً لا يسمحُ بأكثر من هذا.. كنّا نعرفُ حدودنا وحدود الجريدة.. مع أنّ رئاسة التّحرير، وفي حالتي تحديداً، لم تلمح أو تصرّح لي بأيّ خطوط أو حدود.. لكن: رَحِمَ اللهُ مَنْ عَرَفَ قَدَرَ نَفْسِهِ..

وعلى العموم... هذه قراءاتي ومُتَابَعَاتِي وَمَشَاعِرِي وَاِنْفِعَالَاتِي فِي
تلك السّنوات.. ومعها ذلك الإحساسُ الدائمُ بالأفضلِ والأحسنِ والأجملِ
الَّذِي يتدحرجُ رويدا رويدا ليصل إلى بلادنا وشعبنا..

وأخيرا...

جاء توزيع المقالات على المحاور تبعا للفكرة الغالبة على المقال..
أما ترتيبها فاحتكم إلى تاريخ النشر..
وخضع تقديم المحاور أو تأخيرها لعدد مقالات كل محور من الأكثر
إلى الأقل..

الطاهر بن اعمارة الأدغم

حُوينين، ولاية الوادي، الجزائر

04 ربيع الثّاني 1446 هـ / 07 أكتوبر 2024 م

المِحْوَرُ الأَوَّلُ

سِياسَةُ وأمن.. وَنَحْنُ وَالآخِر

سياسية بامتياز.. أول مقال في هذا المحور

ومع أنّ تركيزَ المقالِ انصبَّ على غَرامِ نِسبَةٍ معتبرةٍ من الشَّبابِ الجزائريِّ بالهجرةِ إلى الصِّفَةِ الأخرى حيثُ الجَنَّةُ الموعودة.. لكنَّه يظلُّ في صلبِ موضوعِ السِّياسةِ والسِّياساتِ الدَّاخِلِيَّةِ الجزائريَّةِ، لأنَّ تلكَ النَتِيجَةُ لم نصلِ إليها من فراغٍ... فالمقَدِّماتُ سياسيَّةٌ بامتيازٍ عندما تَراكَمَ الفشلُ فوقَ الفشلِ، فأنتجَ مناخًا يسودُه الشُّكُّ في كلِّ شيءٍ تقريبًا.. وفي الأثناءِ يجذُّ الشَّابُّ الجزائريُّ نفسه أمامَ سيلٍ من الحديثِ المُغرِي عن العالَمِ الآخر... العالَمِ السَّحريِّ في كلِّ شيءٍ.. وتكونُ النَتِيجَةُ هي البحثُ عن الهجرةِ بكلِّ السَّبيلِ: الرِّسميَّةِ وغيرِ الرِّسميَّةِ، والسَّهولةِ والصَّعوبةِ، والخطيرةِ والأمنة....

سياسية بامتياز.. تنطبقُ على بقية المجالات:

- لم تكن المشكلةُ دائمةً في الدِّستور، مهما كانت سهاؤُ النَّدِّدِ الموجهةِ إلى عددٍ من نصوصه، بل إلى السِّياسِيِّ الَّذِي تلاعبَ به وعدَّله وفصله على مفاصده..
- ولم تكن المشكلةُ في القوانين، مهما كان القصورُ البينَ فيها، لكنَّ في السِّياسِيِّ الَّذِي داسَ عليها، ثمَّ علَّمَ مَنْ دونه الدُّوسَ عليها حتَّى صار بعضهم يتحدَّثُ بكلِّ عنجهيَّة: نحن القانون..
- ولم تكن المشكلةُ في قانونِ الانتخاباتِ وصناديقها، لكنَّ في السِّياسةِ والسِّياسِيِّ الَّذِي طوَّعها لمصلحتهِ ومصلحةِ حزبه أو مجموعته أو أيديولوجيته..
- ولم تكن المشكلةُ في ندرةِ الثَّرواتِ والمواردِ، لكنَّ في السِّياسِيِّ والسِّياسةِ التِّي لم تحسنِ التَّدبيرَ والتَّخْطِيطَ والاستشرافَ والمراقبةَ والمحاسبة..
- ولم تكن المشكلةُ في الكفاءاتِ، لكن في السِّياسةِ والسِّياسِيِّ الَّذِي دفعهم إلى الهجرةِ نحوِ بلادِ العالَمِ الواسعةِ ليجدوا أنفسهم ويحقِّقوا نواتهم هناك..

سِيَّاسِيَّةٌ بِإِمْتِيَّازٍ

أراد أن يطبّق عمليًّا ما تعلّمه عن الديمقراطيّة؛ ففتح حدود بلاده لمُدّة يومٍ وليلةٍ وأباحَ حريّةَ السّفر للجميع، فإذا بالبلاد تَلْفِظُ كلَّ سَكَّانها مرّةً واحدةً، فالجميعُ قد خرجوا دون مجرّد التّفكير في العودة وهكذا تركوا البلادَ قاعًا صَفْصَفًا، فبكى الزّعيمُ بكاءً التّكلى حين صارَ بين عشيةٍ وضحاها بلا شعبٍ يصفّقُ له ويهتفُ بحياته.



هكذا صوّرت مسرحيةً عربيّةً حملت عنوان "شَقْلَبَة" تجربةً هذا الزّعيم مع الحرّيّة والديمقراطية. وقد دارت أحداث المسرحيّة حول أزمة الحكومات العسكريّة في بلدان العالم الثّالث، وإمكانية تحويلها إلى ديمقراطيّات، وعلى هذا الأساس سافر عددٌ من الزّعماء الانقلابيين وتحوّلوا إلى تلاميذ في مدرسة ديمقراطيّة اتخذت من عاصمة أوروبيّة معروفة مقرّاً لها.

سؤالٌ مخيفٌ لا مناص لنا من طرحه على أنفسنا في الجزائر وهو: ماذا لو فتحت السّفارات الأجنبيّة أبوابها على مصراعها لطالبي الهجرة وتأشيرات العمل حتّى التأشيرات السياحية..؟ وماذا لو فتحت الدّول العربيّة الخليجيّة مناصب العمل بلا حدود ولا قيود أمام الجزائريين..؟

كم عدد الشّباب الذي سيختار البقاء داخل حدود الوطن..؟ بل كم عدد الكهول والشّيوخ الذين سيختارون تراب الوطن على الهجرة والغربة..!!!؟

كلّ ما سبق دار في ذهني وأنا أقرأ تقريرًا مفصّلاً بعض الشّيء عن ظاهرة (الحرقّة والحرقّة) ومحاولات الوصول إلى "جنّة الشّمال" الموعودة وأرض اللّبن والعسل..

فالظاهرة تزداد تفاقمًا يوماً بعد يوم، وإحصائيّات الدّرك الوطني تتحدّث عن تطوّر نوعيٍّ في هذه الظّاهرة:

فخلال الأشهر الأخيرة من العام المنصرم، حسب هذه الإحصائيّات، كان بين الحرقّة المقبوض عليهم مائة وثلاثة وثمانون

(183) (حرّاقًا) فاقت أعمارهم الأربعين، وبينهم أيضا سبعة وتسعون (97) عاملا، وبينهم كذلك ثمانية وأربعون حرّاقا (48) يمارسون أعمالاً حرّة...!!

الجديّد في هذه الظاهرة المخيفة إذاً أنّها لم تعد قاصرةً على الشّباب البطال الذي يدفعه الفراغ واليأس إلى المغامرة وركوب مخاطر البحر، بل انتقلت عدواها إلى الكهول النّاضجين والعمّال المستقرّين مادّيًا ومهنّيًا.

وسؤال آخر يطرح نفسه في هذا السّياق أيضا:

كم عدد الذين يخطّطون للحرقه..؟

وكم عدد الذين يفكّرون فيها، ولم يشرعوا في الإعداد والتّخطيط

بعد..؟

وكم عدد المستائين اليائسين من الوضع الحاليّ في بلادنا ولكنّهم

لم يفكّروا بعد في الحرقه..؟

وكم عدد الكوادر والشّباب المتعلّم الذي هاجر إلى بلاد الغرب

بشكل نظاميّ في السّنوات الأخيرة..؟

وكم عدد الذين يفكّرون أو يرسلون السّفارات الأجنبيّة، أو يدخلون

مواقع الأنترنت باستمرار لمعرفة المزيد عن الدّول التي تفتح أبوابها

لهجرة العقول وشروطها في ذلك..؟

شابّ لم يتجاوز العشرين من عمره تعلّم حرفةً ممتازةً ومطلوبة،

فهو لحامّ، وقد حضر مع زميل له ليصلح لي شيئا في بيتي... تركتهم

يعملون وجلستُ غير بعيد أوصلُ مطالعةً كتابٍ كان في يدي..

سمعتهم يتحدثون عن الهجرة والسفر وسوء الأحوال في البلاد..
سألت الشاب بعد ذلك عن أمره ووضعه، فقال إنه جاء من قريته
في إحدى ولايات الوسط ولم يكن يعرف أحدًا في العاصمة، وعمل
بعض الوقت ثم اجتهد وصبر، وهو الآن لحام ممسك بزمام حرفته..
قلتُ له: أنت بخير والحمد لله، ولأنك نجحتَ خلال عامين في
العمل والاستقرار، فعليك أن تتوقعَ الأحسنَ خلال العامين القادمين..
ستملكُ محلاً خاصًا بإذن الله، ويكون معك أكثر من مساعد، وتعيشُ
بشكل أفضل.. لماذا لا تفكر بهذه الطريقة...؟

وماذا يمكن أن تعمل هناك لو استطعت الوصول إلى أوروبا...؟
قال سأعمل في المزارع.. وواصل: المهم أن أترك هذه البلاد، فهذه
ليست أرضًا للعيش...!!

إنّ صورةَ الجزائر في عقول الكثير من الشباب صارت باهتة، وهو
أمر خطير للغاية لأنّ بلادنا ليست في ذلك الوضع الخطير الباعث
على اليأس المطلق..

فلسنا في الصومال وحروبها الأهلية..
ولسنا في أفغانستان أو العراق حيث المصيرُ الذي ما زال يتراوح
بين اللأمن من جهة، والقوّات والمشاريع والمخطّطات الأجنبية من
جهة أخرى..

ولسنا في لبنان حيث شبح الفتنة والنزاع المخيم على المشهد هذه
الأيام..

ولسنا في إحدى الدّول التي تعاني من داء الفقر المزمن..

إنّ الأمر خطير وعلاجه أكبر من الخطابات أو الشعارات، مهما كان صدق وإخلاص من يقف وراءها..

إنّ إعادة ثقة الشباب في وطنه يتطلب وقفةً قويّةً لصانع القرار، لأنّ الأمر حياةٌ أو موت، فإمّا أن نكون أو لا نكون.

إنّ الأمر جدُّ لا هزل وفي حاجة إلى قرارٍ سياسيٍّ جريء، فالقضيةُ سياسيّةٌ بامتياز..

فعندما تصابُّ البلادُ في شبابها لن يظلَّ هناك معنى للسياسة ولا للسياسيين ولا للسياسات ولا لشي من مشتقات جميع هذه الكلمات.

2008-02-21

أَمْنُنَا الْإِقْلِيمِي بَيْنَ مَخَالِبِ الْإِسْطُورَةِ

استقرارُ الرَّئِيسِ الْأَمْرِيكِيِّ الْجَدِيدِ بَارَاكِ حَسِينِ أُوْبَامَا
فِي الْبَيْتِ الْأَبْيَضِ سَاعَدَ الْكَثِيرِينَ عَلَى تَنْقَسِ
الصَّعْدَاءِ ، وَدَفَعَهُمْ إِلَى التَّفَاوُلِ بَعْدَ جَدِيدِ تَتَقَلَّصُ فِيهِ
أُذْرَعِ الْإِخْطَبُوطِ الْأَمْرِيكِيِّ تَدْرِيجِيًّا .. تَلِكِ الْأُذْرَعِ الَّتِي
تَمَدَّدَتْ بِشَكْلِ جَنُونِيٍّ فِي عَهْدِ الرَّئِيسِ الْأَمْرِيكِيِّ
السَّابِقِ جُورْجِ بُوْشِ بَعْدَ إِعْلَانِ حَرْبِهِ الْكُونِيَّةِ الَّتِي
حَمَلَتْ لُؤَاءَ مَكَاْفِحَةِ الْإِرْهَابِ .



الحقيقةُ شبه المرّة بدتْ للعيان بعد ذلك، وتحديدًا بعد ستّة أشهر فقط من "حكم" الرّئيس أوباما..

ظهرت عندما أدركتْ شعوبنا ونخبنا أنّ مسألة التّغيير الأمريكيّ، ولو كان تكتيكيًا وشكليًا، ستأخذُ وقتًا، وليس بالقصير ربّما، ولن تبدأ مظاهرها في البروز على السّطح إلا بعد ضمان أوباما لعهدته الثّانية في البيت الأبيض، حيث يمكنه التّحرك نحو تجسيد بعض طموحاته ومكوّنات شخصيّته، حيث لا عهدة ثالثة أو رابعة يخافُ عليها بعد ذلك من اللّوبيات والتّكتّلات المعادية له.

آخر الأخبار تتحدّثُ عن وصول مستشارين عسكريين من قيادة القوّات الأمريكيّة في أوروبا والأمانة العامّة لحلف شمال الأطلسيّ إلى دولة النّيجر، جارّتنا الجنوبيّة..

ومن هناك ينتقلُ الوفدُ إلى دول أخرى منها مالي وموريتانيا.. والدّول الثّلاث من جيراننا الأقربين الذين يشكّلون رافدًا مهمًا لعمقنا الاستراتيجيّ في أفريقيا جنوب الصّحراء.

الوفد العسكريّ الغربيّ سينتقدُ، حسب الأخبار، قواعدَ عسكريّة ويستفسرُ من خلال لقاءاته بالمسؤولين العسكريين المحليين، عن إمكانيات تلك الدّول ومدى جاهزيّة جيوشها في الحرب على الإرهاب وعصابات الجريمة المنظّمة، وأيضا إمكانيّة نقل السّلاح إلى تلك الجيوش عندما تدعو الحاجة إلى ذلك..؟

والخطوة الأمريكيّة الأوروبيّة هذه سبقتها خطوات.. ومؤكّد أنّها ليست الأخيرة فهي مقدّمة لوجود عسكريّ غربيّ أكبر وأعمق وأطول على حدود بلادنا الجنوبيّة والغربيّة..

خطوةً قد تحملُ في طياتها مخطّطاً آخر تماماً، ليس أقلّه الالتفاف على الجزائر عبر جيرانها خاصّة أنّها رفضت سابقاً، أو اعتذرت على الأقلّ، استضافة قيادة القوّات الأمريكيّة في أفريقيا..

إنّها خطوة لها ما بعدها، حتّى لو حاول البعض التقليل من شأنها واعتبارها مؤسّراً على أنّ الولايات المتّحدة وحلفاءها يستبعدون الآن التّدخل العسكريّ المباشر في المنطقة للتّصدي لما بات يُعرف بتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلاميّ.

القيادة الجزائريّة كانت من البداية، على ما يبدو، واعيةً تماماً لمرامي المخطّط الأمريكيّ الذي استند على نقطة واحدة وهي التّخويف من القاعدة وبياناتها على الانترنت!!..

تلك القاعدة الأسطورة التي يقودها رجلٌ لا يُعرف عنه أحدٌ شيئاً منذ سنوات، وكلّ ما يصلُ عنه أو عن المقرّبين منه هو تلك "الخرجات" الإعلاميّة في المواسم والمناسبات، لئيفتح المجالّ للتّحليلات والتكهّنات من جديد حول مكان الرّجل، وإن كان في أفغانستان أو باكستان أو في منزلة بين المنزلتين ومنطقة بين الدولتين لا يريدُ أحد أن يكون له سلطان عليها..؟

ربّما لم يحن الوقت بعد لمراجعة "قصّة القاعدة" لأنّ المشروع التّوسّعيّ الأمريكيّ ما زال يريدُها بهذا الحجم الأسطوريّ المخيف، لكنّ المؤكّد أنّ هذه "القاعدة" وقادتها وما نسجت حولها وسائل الدّعاية الأمريكيّة ستكون مادّة دسمةً للقصاص الشّعبيّ الأسطوريّ خلال القرون القادمة، في حال لو صدقَ ذلك الانقلاب الكونيّ الذي يتنبأ به البعض حيث يعودُ الإنسان إلى حياة البداوة بزوال الوسائل العصريّة،

ويفقّد الكهرباء وما جاءت به من كمبيوتر وإنترنت وقنوات فضائية،
ليجلس الأطفال حول العجائز رغبةً في سماع الحكايات وأساطير
القرون الخوالي، ومنها أسطورة القاعدة والسّاحر الأمريكي..!!
منذ أن سقط الحكم الشّيوعيّ في العاصمة الأفغانية كابل عام
1992، بدأ أسامة بن لادن يتعرّض لحصارٍ ماليٍّ ومراقبةٍ لمصادر
تمويله في المملكة العربيّة السّعودية وخارجها، وحتىّ عندما انتقل إلى
السّودان مع عدد كبير من أنصاره لاحقته الضّغوط الأمريكيّة
والسّعودية، ليعودَ إلى أفغانستان ويحلّ ضيفاً على حركة طالبان التي
وصلت إلى الحكم عام 1996.

وظلّت "القاعدة" تتعرّض لمضايقات وحتىّ ضربات عسكريّة إلى
أن فاجأ العالم "الغز" أحداث الحادي عشر من سبتمبر، لتبدأ الحرب
الأمريكيّة المباشرة على أسامة بن لادن وكلّ من يمتّ له ولأفكاره
بصلة من قريب أو بعيد..

حربٌ شاملةٌ بكلّ معنى الكلمة، فهي عسكريّة واستخباراتيّة وإعلاميّة
وماليّة وسياسيّة ودبلوماسية.. جعلت من العالم كلّه مسرحاً لها..؟
حربٌ شرسةٌ دمّرت القاعدة وطالبان في أفغانستان وظلّت تلاحقهم
في باكستان، وساقّت المئات إلى معتقل غوانتانامو، ومعتقلات أخرى
علنيّة وسريّة في أنحاء متفرّقة من العالم.. وبعمليّة جمّع بسيطة لتك
الأرقام التي أعلنت عنها الإدارة الأمريكيّة خلال قرابة عقد من حربها
على القاعدة، نجدُ أنّها كافيةٌ لتدمير "ثلاث قواعد" أو أكثر وليس
قاعدة واحدة، لتبرزَ بالتّالي أسئلةٌ كثيرةٌ يؤجّلُ العالمُ اليومَ الإجابةَ

عنها، وتظلّ قضايا كثيرة "غاصت" فيها الإدارة الأمريكية باسم الحرب على القاعدة في حاجة إلى قدر كبير من "الغباء" كي نصدّقها!.. نعم.. جدل سيكون كبيراً لو فُتِحَ بابُه، لكنّ المؤكّد أنّ القاعدة لا تزال، ولو إلى حين، ورقةً رابحةً في يد صنّاع القرار في السّياسة الخارجيّة الأمريكيّة..؟

كان أستاذ التاريخ أثناء دراستي المتوسطة واعياً إلى حدّ كبير ضمن حدود وإمكانات وإعلام تلك الأيام، وقد حدّثنا مرّة عن الصّحراء الغربيّة ومشكلاتها العالقة والسّجال الدائر حولها بين الجيران، وممّا قاله يومها: إنّ الجزائر تحرصُ على قيام دولة مستقلة في الصّحراء الغربيّة، لأنّ الصّحراء إذا وقعت في يد المملكة المغربيّة فاقراً على أمن الجزائر الفاتحة، فحينها ستكون محاصرةً فرنسيّاً من البحر المتوسّط والمحيط الأطلسيّ، لأنّ المملكة المغربيّة، حسب تحليل الأستاذ، فرنسيّة الولاء والهوى من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها. وبغضّ النّظر عن صحّة ذلك أو عدمه، ودقّة تحليل أستاذنا في ذلك الوقت، فما هي مسألة السّيادة تُطرحُ من جديد بعد أن صارت حدودنا الجنوبيّة مرشّحة لأن تكون مرتعاً لقواتٍ دوليّةٍ قادمة من وراء البحار تحت أهداف ومسميّات فرضتها العولمةُ بشقيّها العسكريّ والإعلاميّ.

2009-08-27

نُحْنُ أَقْوِيَاءُ جِدًّا...!!

حالة ترقّب وحذر.. بل هو الفرع والخوف من المجهول، ذلك ما شهدته، وتشهده، مقاطعات جنوبيّ فرنسا بعد أن انخفضت الحركة التجاريّة في الموانئ الجنوبيّة، خاصّة ميناء مَرَسِيْلِيَا، والسّبب هو تقلّص عدد السّفن المتّجهة إلى الضّفة الأخرى من المتوسّط، وتحديدًا نحو الموانئ الجزائريّة التي كانت إلى حدّ قريب تستقبل كلّ شيء.



الساسة الكبار، في تلك الدولة التي استغلت أرضنا وخيراتنا طويلا، استنفروا بعضهم بعضا، ويبدو أنهم رأوا في الأمر بوادر خطر حقيقي ولو كان آجلا غير عاجل، فعادتهم أن أغلب مستعمراتهم السابقة "وديعة مطيعة" هاشة باشة في وجوههم، تنتهج دائما سياسات اقتصادية تخدم مصالح المستعمر السابق، أو لا تتعارض مع رغباته في أحسن الأحوال!..

والسبب وراء ذلك هو تلك الظاهرة التي صارت "من المعلوم من السياسة والتاريخ بالضرورة": تلك المستعمرات الفرنسية السابقة التي تنوء بحمل أعداد لا بأس بها من "المخلصين" للسيد السابق، والمدافعين عن مصالحه ولغته وثقافته!..

تراهم عين المتخصص بوضوح وهم يوزعون بعضهم بين دوليب السياسة والاقتصاد، ويحاولون دائما توجيه أشرعة المراكب الجنوبية نحو الشمال، وتحديدًا نحو بلاد الجن والملائكة!..؟

الساسة هناك قرروا زيارة بلادنا "المستعمرة السابقة"، وعبر وفد يمثل مسؤولين ومنتخبين من المقاطعات الفرنسية الجنوبية خاصة مرسيليا، والهدف المعلن هو عقد سلسلة من اللقاءات مع المسؤولين الجزائريين لمطالبتهم ببعض المرونة في تطبيق الإجراءات الجديدة التي وردت في قانون المالية التكميلي لهذا العام والذي يحدّد شروط الاستيراد، ويمنع عتاد الأشغال العمومية المستعمل من دخول الجزائر، ذلك العتاد الذي كان الكثير منه يمثل "خردة" لا تسمن ولا

تغني من جوع، لكنها تساهم بشكل فاعل في دفع عجلة الحركة
اليومية في مرافئ فرنسا الجنوبية.

ذلك الوفد تقف وراءه وزيرة التجارة الفرنسية، وتأمل أن يكون رافداً
قوياً لمساعي دبلوماسية تقودها الحكومة الفرنسية لإقناع نظيرتها
الجزائرية بالتراجع عن قراراتها التي تمس بحركية الاقتصاد الفرنسي
في الجنوب وتخل بالحسابات والخطط التي كانت مسطرة، وتجعل
القوم يضربون أحماساً في أسداس، فقد كانت إلى جوارهم سوق كبيرة
مفتوحة على مصراعيها تقبل أي شيء تقريباً ودون شروط مسبقة..!

إنها خطوة واحدة تلك التي جاءت من خلال قانون المالية التكميلي
لهذا العام.. خطوة نرجو أن تكون محددة الأهداف وموجهة بشكل
جلي إلى الجهات التي يعينها الأمر في الداخل والخارج، وأكثر من
ذلك أن تكون وراءها تلك العزيمة القوية والإصرار الهائل الذي يرد
الوفد الفرنسي على أعقابه خائبا، ويلزم "أباطرة الاستيراد" بالأمر
بحذافيره، ويمنع أي تلاعب وفساد يجعل من القانون حبراً على ورق،
أو سيفاً مسلطاً على رقاب صغار المستوردين فقط..؟

ورغم أن لغطاً يثار من هنا وهناك حول قانون المالية التكميلي،
حتى إن البعض يقول "إن الجزائر هي البلد الوحيد الذي يعتمد فيه
خلال سنة واحدة قانون مالية عادي وآخر تكميلي".. فالحقيقة التي
ينبغي الصّحح بها أن الخطوات الأخيرة تبشّر بصحة كبيرة في ميادين
حماية الاقتصاد الوطني من عمليات التدمير شبه المنظمة التي
تقودها مافيا الاستيراد.. تلك المافيا التي حدّدت أهدافها جيّدا ووضعت

نصب عينيها الرّيح السّريع وحده دون أيّ اعتبارات أخرى، آنيّة أو مستقبلية، لمسار الاقتصاد الوطنيّ خاصّة في مجاليّ الصناعة والزّراعة.

نعم إنّها صّحوة قانونيّة نظريّة وتنفيذيّة نرجو أن تكون "جامعة مانعة"، تجمع كلّ ما فيه خير للاقتصاد الوطنيّ وتؤكّد على كلّ ما يحميه من التّآكل والسّقوط التّدرجيّ عبر الضّربات المنظّمة الموجّهة إليه، وتمنع كلّ لوبيّات الفساد والاستيراد من التّسلّل تحت أيّ ثغرات قانونيّة محتملة أو إجراءات دون المستوى المطلوب من الجرأة والحزم. إنّ الخطوة الحكوميّة المشار إليها كفيّلة، إذا وجدت التّطبيق الجادّ الصّارم، أن تغلق أبوابًا كثيرةً من الشّرور التي يقترفها السّماسرة في حقّ الاقتصاد الوطنيّ وثروات الشّعب التي يزرع بها باطن الأرض وظاهرها..

كفيّلة بتشديد سدودٍ أمام سيل الأموال المتدفّق نحو الخارج.. تلك الأموال التي لا يعلم إلاّ الله، ثمّ الجالسون على كراسيّ المواقع الحسّاسة، من أين جاءت، وكيف تجمّعت، وكيف كان حال أصحابها قبل عدد محدود من السّنوات، وفي أيّ بنوك أجنبيّة تستقرّ وتترعرع...؟؟

لقد لجأت السّلطات الفرنسيّة في وقت سابق إلى نظيرتها الجزائريّة وأقنعتها، بشكل أو بآخر، بالتّراجع عن إجراءات مثل إجراءات قانون الماليّة التكميليّ لهذا العام، وكلّنا أملٌ أن يضع المسؤولين الجزائريّون، هذه المرّة، خطأ أحمر أمامهم ويعقدوا جميعا العزم على عدم تجاوزه..

خطُّ أحمر لا يعني إطلاقاً النّية المسبقة في الإضرار بالطرف المقابل، أو تبييت الشرّ له ولاقتصاده.. لكنّه إعلان حرب حاسمة ضدّ مافيا الاستيراد، وإيقاف قاطع لعمليات تهريب العملة الصّعبة من بلادنا، وطلاق بائن مع عصابات تبييض الأموال المنهوبة من خزينة الشّعب عبر استيراد النّفايات والخردة من فرنسا.

وأخيراً فإنّ المخاوف الاقتصاديّة الفرنسيّة من خطوة محدودة كهذه التي جاءت من خلال قانون الماليّة التكميلي، تحركّ فينا، نحن الجزائريين "العاديين"، تساؤلاً بريئاً حول مقدار ما بين أيدي مسؤولينا من أرقام صعبة، ونقاط قوّة لا يمكن للجهات الفرنسيّة تجاوزها فيما لو أستعملت بحكمة وقوّة ونخوة..؟

ماذا لو استعملنا كلّ ما تحت أيدينا..؟

لا شكّ حينها أنّ مواقف فرنسا المخزيّة، ونظرتها الدّونيّة تجاهنا، واستفزاتها المتكرّرة حول ذاكرتنا سوف تختفي..

يقول توماس أديسون، المخترع الذي أضاء العالم،: "إذا فعلنا كلّ الأشياء التي نستطيع القيام بها، سوف نشعر بالذهول التّام من أنفسنا"..

نعم سوف نشعر في الجزائر أنّنا أقوىاء جدّاً جدّاً.. وأكثر بكثير ممّا كنّا نتصوّر.

2009-10-03

مَاذَا بَعْدَ التَّغْرِيبِ الْإِلِكْتُرُونِيِّ..؟؟

منذ ظهور اسمها خلال تسعينيات القرن الماضي
ظَلَّت العولمةُ مَثَارَ جَدَلٍ بَيْنَ نُحْبِ دَوْلِنَا الْمُسْتَهْدِفَةِ
بشکل مباشر بريح تلك الظاهرة التي تسعى في
حقيقة أمرها إلى الوصول إلى قدر كبير من التداخل
بين جميع شعوب العالم، والنتيجة الطبيعية بعد ذلك
هي التأثير الثقافي والسياسي والاقتصادي الذي يخسر
رهانه الضعفاء وهم شعوب العالم الثالث في هذه
الحقبة الزمنية.



الانقسامُ حول العولمة بين النّخب في بلادنا، وما شابهها، ما زال قائماً، ويمكن أن يظلّ كذلك إلى ما شاء الله من الزّمن، وتراوح الاختلافُ بين من يرى في تلك "البدعة الجديدة" خيراً لا يخالطه شرُّ بأيّ حال من الأحوال، وبين من يرى فيها شرّاً مطلقاً لا يعرفُ الخيرُ إليه سبيلاً..

وبين هؤلاء جاء من يقول إنّها شرٌّ لا بدّ منه، وينبغي التّعامل معها، لكن بحذر وبقظة واستعداد وإعداد ثقافي واقتصادي وسياسي. وفي هذا السّياق... يمكنُ الصبرُ على إفرزات تلك العولمة إلى حين، والتّعاملُ معها بحكمة ودهاء وأخذ وعطاء، لكنّ ما يصعبُ هضمه هو آخر طبعتها وأحدث صرعاتها وهي "العولمة الأمنيّة" التي تجسّدت مؤخراً في قصّة شابّ لم يتجاوز الثّالثة والعشرين من عمره لكنّه حرّك العالم كلّه وشوّش على الكثيرين في جميع أنحاء المعمورة، وجعلهم يتنّفسون الخوفَ بدل الأوكسجين، وينامون ويستيقظون على وقع هواجس أمنيّة عالية التّركيز..؟!.

شرارةُ القصّة انطلقت حين أعلنت السّلطات الأمنيّة الأمريكيّة أنّها ضبطت شابّاً نيجيرياً يُدعى عمر فاروق وهو يحاولُ تفجير طائرة ركّاب أمريكيّة لدى اقترابها من مدينة ديترويت، وتزيد تلك الجهاتُ الأمنيّة، ومن يليها في الصّلاحيّات، بأنّ عمر فاروق تدربَ على أيدي عناصر ما يُسمّى تنظيم القاعدة في اليمن..؟.

ويتفاعلُ الأمرُ بشكلٍ دراماتيكيّ.. من حملات إعلاميّة أمريكيّة منظّمة وتحركات مشبوهة للجمهوريين وبقايا المحافظين الجدد، إلى

أن يصلَ إلى قراراتٍ رسميَّةٍ أمريكيَّةٍ تشدُّدُ من إجراءات الأمن المشدَّدة أصلاً، وتذهبُ بعيداً في الاستهتار بنا حين تصدرُ قائمةً تضمَّ مجموعةً دول، من بينها الجزائر، يجبُ أن يخضعَ رعاياها إلى إجراءات أمنيَّة جديدة في حال سفرهم إلى الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة. إنَّها العولمةُ الأمنيَّةُ التي تجعلُ الآخرين يدفعون ثمنَ أخطاءِ أجهزةِ الأمن الأمريكيَّة، إن صحَّت جميع تفاصيل وملابسات القصة، ويجدون أنفسهم عرضةً للإهانة وخذش الكرامة عندما تُخضعهم أجهزة التفتيش الجديدة إلى التعرية وإن كانت إلكترونيَّة عبر ماسح ضوئي، وما يتبعها بعد ذلك من هوس ومخاوف تؤدِّي، كما أدَّت في السابق، إلى الإيقاف والتَّحقيق لمجرِّد كلمة باللغة العربيَّة أو دعاء وقراءة قرآن على متن الطائرة..!

ما ذنبنا نحن إذا غفلت أو تغافلت أجهزةُ المخابرات الأمريكيَّة وقصَّرت في التنسيق بينها؛ فوجدت المتفجِّرات نفسها على متن طائرة أمريكيَّة وبحوزة شابٍّ نيجيريٍّ جنَّدته القاعدةُ في اليمن كما يقال، والله أعلم بحقيقة الحال...؟

إنَّ مسألةَ التقصير في التنسيق قد أسالت حبراً كثيراً بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر التي هزَّت مدينتي واشنطن ونيويورك قبل أكثر من ثماني سنوات.. تلك الأحداثُ التي ظلَّت تطرحُ علامات استفهامٍ باستمرار، وقد تظَلَّ كذلك إلى زمنٍ قادم؛ فتجاربُ النخبةِ الأمريكيَّة مع كُثمِّ الأسرار رائدة، وهم الذين شاهدوا مقتل رئيسهم جون

كنيدي عام 1963 ثم طُوروا ملفّات الجريمة بعد أن سجّلوها ضدّ مجهول.

الجهاتُ الجزائريّةُ الرّسميّةُ استاءت من ضمّ اسم الجزائر إلى قائمة الدّول المعنيّة بالإجراء الأمريكيّ الجديد وحقّ لها أن تَسْتَأْ، وعبرتُ عن الأمر بخطوات جريئة إلى حدّ كبير في زمن الهوان والخوف الذي أدمنه الكثير من الرّسميين العرب من السيّد الأمريكيّ، وحتى من دُونَهُ من زعامات بعض الدّول الغربيّة.

الاستياءُ الجزائريّ الرّسميّ، وغير الرّسميّ، لا ينتهي عند هاجس السّفر إلى الولايات المتّحدة الأمريكيّة، لكنّه امتد إلى ما هو أقرب من ذلك حيث الدّول الأوروبيّة التي تقطنها جاليات جزائريّة معتبرة، وتربطها بالجزائر علاقاتٌ تجاريّةٌ، وما يستدعيه ذلك من حركة كبيرة في أعداد المسافرين الجزائريّين إلى تلك البلدان على مدار العام..

وتصاعَدَ الهاجسُ واشتدّ الاستياءُ بعدما صنّفت فرنسا المسافرين الجزائريّين ضمن قائمة المستهدفين برقابة المسح والإهانة الصّوريّة. إنّ مجردَ التّفكير في هذا الأمر يصيبُ كلّ جزائريّ غيور بالدهشة، فكيف تكون الحالُ عندما تصبحُ إهانةُ الجزائريّين على أبواب طائرات أوروبا ومطاراتها مشهدا عاديا..؟

وعليه فإنّ اتخاذ إجراءات أكثر صرامة ينبغي أن تكون على رأس الأولويات، وأن تطال جميع الملفّات والمجالات الحيويّة التي تتأثّر بها أمريكا ومن سيحذو حذوها..

ملفات مثل التعاون الاقتصادي خاصة في مجال المحروقات،
ومجال الدبلوماسية والعلاقات والزيارات وما يرتبط بذلك من تقليص
وإرجاء واعتذار إلى أن تتغير المواقف.

والأهم، قبل ذلك وبعده، أن نراجع أوضاعنا الداخلية خاصة ما
تعلق منها بالسياسات الإعلامية، لنصل إلى مرحلة "التوبة" من تلك
التغطيات والتهويلات التي تجعل من بيانات مواقع الانترنت
والعنتريات الفردية "أدلة يقينية" على أنّ بلادنا ميدانا فسيحا مريحا
لهذا التنظيم المشبوه أو ذاك!..

إنّ بلادنا بخير والحمد لله.. لكننا بحاجة إلى تكاتف جماعي
لتقويت الفرصة على غلاة الأمريكيين الذين برهنوا دائما على مهاراتهم
الفائقة في "فن" الصيد في المياه العكرة..

نتكاتف جميعا وأكثر من أي وقت مضى لأنّ بلادنا مستهدفة
لأجل مواقفها الداعمة للقضية الفلسطينية، والرافضة لأيّ تقارب مع
دولة الكيان الصهيوني.

نتكاتف جميعا لأنّ خطوة "التعرية الإلكترونية" لن تكون المحاولة
الأخيرة في المخطط الأمريكي المرسوم لبلادنا والمنطقة.

2010-01-17

عُهُدَةُ الْمَمَانَعَةِ وَالصُّمُودِ

الاحتفال بمرور عام من العهدة الثالثة للرئيس
عبد العزيز بوتفليقة جاء حافلاً بالأرقام الكبيرة
والجداول الطويلة من الإنجازات في مجالات السكن
والأشغال العموميّة والرياضة وعالم الشغل والجامعة
وغيرها.. لكنّ الإنجازَ الأبرز في تقديري كان في
السّياسة الخارجيّة وبتحديد أكثر ذلك التوتر الشّديد في
العلاقات الجزائريّة الفرنسيّة.



كيف يكون استمرارُ التوتّر بين الدّول إنجازا يضافُ إلى رصيدِ رئيسِ جمهوريّةٍ أو حزبٍ سياسيٍّ..؟

سؤالٌ غريبٌ لأننا تعودنا على ظهور الإنجازات الكبرى من خلال تمّتين العلاقات وتوطيد الصّلات وربط الوشائج، حيث تحفّظ صفحاتُ التّاريخ بعناية خاصّة سير وأخبار الدّين قربوا بين الشّعوب وأصلحوها بين المتحاربين وأوقفوا النّزيف وحقنوا الدّماء..

لكنّ الحقيقة في حالة العلاقات الفرنسيّة الجزائريّة الشّائكة تخالف تلك المتعارف عليها بين أغلب النّاس.. تخالفها لأنّ هذه العلاقات لها خصوصياتها وخلفياتها التّاريخية أثناء فترة الاستعمار الطّويلة، إلى جانب امتداداتها المشبوهة الموبوءة في مرحلة ما بعد الاستقلال.

العلاقات الفرنسيّة الجزائريّة أثناء الاستعمار طَبَعَهَا لونُ الدّم وغبارُ الدّمار والخراب في عقودها الأولى، ثمّ في سنواتها الأخيرة، وبين المرحلتين ميّزها نشرُ الفقر والجهل والسّعي للقضاء على الهويّة، والنّظرة الاستعلائيّة الانتقائيّة في المعاملات والحقوق والقوانين بين المستوطنين الفرنسيين، شدّاذ الآفاق، والأغلبية من المواطنين أصحاب الأرض والحق..

نظرةً ومعاملةً ظلّت غير عادلة حتّى عندما كان ساسةُ فرنسا الاستعماريّة يتشدّقون بأنّ الجزائر فرنسيّة إلى الأبد ويُعرون الجزائريّين بفكرة الجنسيّة.

وبعد الاستقلال استبشّر الوطنيّون الأحرار خيرا بزوال ليل الاستعمار الطّويل، وأطلقوا لأحلامهم العنان في دولة يكون فيها

القرارُ لأهلها كاملاً غير منقوص، والقِبلة السَّياسِيَّة والاقتصاديَّة فيها صافيَّة نقيَّة، لكنهم اصطدموا دائماً بعقبة فرنسا من جديد حيث ذلك اللُوبي الَّذي تركه الاستعمارُ بعد أن لقَّنه الدَّرْسَ بعناية ليواصلَ المسيرةَ ويحفظَ لأسياده المصالحَ ويمنعَ البلادَ من أن تصلَ إلى ذلك المستوى الَّذي يؤهلُّها للوقوفِ بنديَّة كاملة وجهًا لوجه أمام عدوِّ الأُمس..!

لقد شهدت العلاقات الفرنسيَّة الجزائريَّة حالات من التوتُّر والفتور لكنَّها سرعان ما كانت تعودُ إلى سابق عهدها، فقد كان في يد ساسة باريس مفاتيح كثيرة وكبيرة تستطيعُ إعادةَ هذا إلى نصابه وكبح جماح الآخر، وتقليمُ أظافر ظنِّ صاحبها أن في وسعها ترك آثار داميَّة على وجه الخصم..

لقد كانت الجهات التي تحنُّ إلى فرنسا وتتنقَّس بلغتها وثقافتها عصيَّة على الوطنيين إلى حدِّ ما، وبقيت متشبَّثةً بأروقةٍ وممراتٍ خاليَّة من أيِّ مزاحمات أو مضايقات..

وهكذا ظلَّت الجزائرُ منطقةً نفوذٍ لفرنسا بشكل أو بآخر، لأنَّ لغتها مفضَّلة على غيرها ومقدَّمة حتَّى على العربيَّة في بعض المواقع والإدارات وبين بعض الطبقات..! ولأنَّها الشريكُ المبجَّلُ في الصِّفقات التجاريَّة والتبادل الاقتصادي..؟

ظلَّ الحالُ كذلك حتَّى بدأت ملامحُ التَّغيير في السَّنوات الأخيرة، فقد رأينا الجزائرَ وقد أعربت عن زهدها في معاهدة الصِّداقة مع فرنسا وكان التَّوقيع عليها مقرراً في نهاية 2007..

تأجلت بعد أن تمسكت الجزائر بحقها في الحصول على اعتذار رسمي فرنسي عن جرائم الاستعمار ومخلفات سنواته المظلمة وتعويض الضحايا.. وشهدت الساحة السياسية بعد ذلك مواقف وتصريحات وإلغاء زيارات كانت مقررة، والقاسم المشترك بينها هو إصرار الطرف الجزائري على أنه لم يعد في جعبته حتى القليل من الصبر على التتالي والاستفزاز الفرنسي.

وخلال السنة الأخيرة شهدت العلاقات فتوراً متميزاً للغاية من ناحية الكم والكيف، وهو مرشح للاستمرار في ظلّ تسمر كل طرف في موقعه محاولاً تحقيق مكاسب أكبر على حساب غريمه.

إنّ العلاقة بين الجزائر وفرنسا لم تكن متوازنة خلال سنوات الاستقلال، ولم تعاملنا فرنسا بالندية والاحترام المطلوب، وعليه فإنّ قدرة الطرف الجزائري على إدارة التوتر دفاعاً عن كرامته وحقوقه ومصالحه وحقه في التفتح على العالم اقتصادياً وثقافياً ولغوياً؛ هو إنجاز كبير، لأنّه باختصار شديد تمرّد على المسار الخاطئ.. ومثل هذا التصرف فضيلة وليس رذيلة.

إنّ الأزمات السياسية العلنية والخفية على حدّ سواء قد لا تكون مؤشر خيرٍ ودليل صحّةٍ لكنّها في الحالة الجزائرية فأل خير، لأنّ استمرار توتر العلاقات بين باريس والجزائر على مدى أشهر طويلة، وخلال هذه السنة الأولى من العهدة الرئاسية الثالثة؛ يشير إلى تملل واضح وجريء في دوائر صنع القرار الجزائري من تلك العلاقة غير المتكافئة والنظرة الاستعلانية التي أدمنتها فرنسا تجاه الجزائر.

إنّ مصطلحات الممانعة والصّمود شبه محصورة هذه السّنوات على ما يدور في المشرق العربيّ وتحديدًا في محيط فلسطين المحتلّة حيث الحديث عن القوى التي لا زالت تحملُ السّلاح أو مشاريع الرّفص القاطع لدولة الاحتلال الصّهيونيّ بجميع تفرّعاتها وتداعياتها، وكذلك الدّول التي ترفضُ حتّى الآن الدّخول في سلام مع اليهود مع أنّها دول جوار، وأيضا تلك الدّول الدّاعمة بصراحة ووضوح لتيّارات المقاومة.

وفي الجزائر يمكن استعارة هذه المصطلحات أيضا وتنزيلها على واقعنا والتّقاؤل بأن تكون السّنوات الباقية من العهدة الثّالثة سنوات ممانعة وصمود في وجه الاستعمار الفرنسيّ الجديد، عبر الرّفص والمواقف المستقلّة، ومن خلال البناء الدّاخلّي القويّ الذي يشدُّ أزرَ الحصون من الدّاخل فيجعلها منيعَةً على مؤامرات ومكائد الخارج..

تقول الحكمة: **عندما تعرفُ وجهتك تكون قد قطعت نصف المسافة نحوها..** وكلّنا أمل أن تكون الوجهة قد ازدادت وضوحًا عند صنّاع القرار الجزائريّ بعد هذه السّنوات الطّويلة من عمر الاستقلال وجلاء المستعمر الفرنسيّ.

2010-04-17

مَدُّ الْجُسُورِ.. أَكْثَرُ مِنْ ضَرُورَةٍ

أَعْرَبَ عن شكوكه فيما يجري في الصَّحراء الكبرى من عمليات اختطاف، وَأَرْجَعَ ما يحدثُ من مناوراتٍ واستفزازاتٍ سياسيَّةٍ فرنسيَّة، بالتَّعاون مع بعض الجيران، إلى مواقف الجزائر الاقتصادية الأخيرة وقراراتها السَّياديَّة وثباتها في مرَبِّع دعم القضية الفلسطينية دون قيد أو شرط.. إنَّه بعض ما تحدَّثَ به أحدُ الأساتذة في ندوة مركز الرائد للدراسات والبحوث حول خلفيَّة الحملات الإعلامية المغربية وأثرها على العلاقات بين الجزائر والمغرب.



أكاديميون وسياسيون ووجوه من المجتمع المدني تداولوا على منبر الحديث وصالوا وجالوا في ميدان العلاقات الجزائرية المغربية، وقضية الصحراء الغربية وأثرها على المنطقة وتداعياتها على مسيرة اتحاد المغرب العربي..

المغرب العربي.. ذلك الفضاء الذي تتطلع إليه الشعوب والنخب السياسية والثقافية الصادقة بقلوب تتبض بالحُب والإخاء والرغبة في السلام والوئام، وعقول أدركت حقائق التاريخ والجغرافيا فوصلت إلى نتيجة كالشمس في وضوح النهار تنادي الجميع إلى التنسيق والتعاون، ومن هناك إلى الوحدة الشاملة لأنها قدر الجميع في زمن التكتلات والفضاءات الكبرى.

قضية الصحراء الغربية هي بيت القصيد في الخلاف الجزائري المغربي، كما شدد أحد الأكاديميين، وهي مفتاح الحل ومن ثم الأساس في بناء اتحاد المغرب العربي..

ومن هذا المنطلق تحدت المتدخلون عن حقائق تاريخية كثيرة أبانت عن وجوه متعددة لحق الصحراويين في إقامة دولة مستقلة.. تلك الدولة التي ستنتهي عند قيامها الحساسيات، شبه المزمنة، بين الجزائر والمغرب وتكون إضافة جديدة في بناء اتحاد المغرب العربي الكبير حين يتشكل من ست دول بدل خمس.

كلمات المتدخلين أفاضت في الحديث عن الحملات الإعلامية المغربية التي لم تعد مجرد ردود فعل أو تصرفات معزولة بقدر ما صارت منظمة ولها أهدافها الواضحة وجهاتها الداعمة، ولا تقتصر

على وسائل الإعلام المغربية بل تتعدّاهما إلى استعمال القنوات العربيّة عبر الصّحفيين المغاربة هناك وغيرهم من الموالين أو النّفعيين.

الحمّلات استهدفت تشويه صورة الجزائر عبر تحميلها مسؤولية فشل مسيرة اتّحاد المغرب العربيّ من جهة، وتصويرها على أنّها غربيّة الهوى والثّقافة وأنّ توجّهاتها وارتباطاتها أمتن وأقوى مع الضّفة الأخرى للمتوسّط على حساب العلاقات المغربيّة والعربيّة..!

ويمكن القول بأنّ هذا شأنهم الخاصّ وتلك سياستهم وإنّ بات واضحا أنّ بعض مراكز القرار المغربيّ تستثمر في معاناة الشّعبيين الصّحراوي والمغربي، على حدّ تعبير أحد الأكاديميّين..

لكنّ السّؤال يتّجه نحونا ويتمحور حول دورنا في الرّد على هذه الحمّلات الإعلاميّة، ومسؤوليتنا عن تقديم الصّورة الصّحيحة عمّا عندنا على الأقلّ، ثمّ ترك الأمر للمشاهد والقارئ العربيّ والمغربيّ ليقارن ويحكم.

عدد من المتحدّثين اتفقوا على ضرورة إعادة النّظر في الاستراتيجية الإعلاميّة المتّبعة في بلادنا على مستوى التّلفزيون ووكالة الأنباء، كما تحدّثوا عن دور المجتمع المدنيّ والأحزاب السّياسيّة في الدّفاع عن سمعة الجزائر..؟

فإذا كان من حقّ الجهات الرّسميّة أن تتبّع سياسة الصّمت في بعض الأوقات لحسابات ما؛ فإنّ الأحزاب والجمعيات والمنظّمات الجماهيريّة لها ما تفعله في هذا الشّأن، والمفترض أنّها طليقة اليد واللّسان أكثر من غيرها.

ما دار في الندوة مفيد لكنّ ما أودّ التّركيزَ عليه هو ذلك الكلام الصّريح لأحد الأساتذة عن ضرورة مدّ الجسور مع وسائل الإعلام العربيّة خاصّة القنوات الفضائيّة الرّائدة، والتّواصل معها واحترام مهنيّتها وعدم التّدخل في أساليب تعاطيها مع الأخبار والقضايا التي تتناولها..

والحقيقة أنّ الكلام في هذا الموضوع له شجون، لأنّ مشكلة الخلاف مع وسائل الإعلام في بلادنا وبلدان أخرى تعودُ إلى إصرار البعض على التّفكير بأسلوب تجاوزه الزّمن، بعدما دخلنا عصر الفضائيّات والانترنت والتّنافس المحموم بين وسائل الإعلام، وجريها وراء الخبر أينما كان خاصّة إذا شابهُ شيء من الإثارة.

علينا أن نتفهم آليات وأساليب وأجواء العمل في عُرف أخبار القنوات الفضائيّة ووسائل الإعلام الكبيرة المؤثّرة لنتمكّن من التّعامل معها دون حساسيات، ونستوعب بعض ما يحدث ولا نتصوّر أنّ ما يقومون به مُوجّهٌ ضدّنا بالضرورة مع سبق الإصرار والتّرصّد، وأنهم يسعدون باتساع جراحاتنا وتفاقم مآسينا وأزماتنا..!

سوف نفترض أنّ رئيس تحرير نشرة الأخبار، في غرفة أخبار قناة إخباريّة عربيّة في الخليج، صحفيّ مهنيّ محايد، بل دعونا نذهب إلى أبعد من ذلك ونتصوّر أنّه جزائريّ يرغب في بثّ شيء من صور بلاده الزّاهية ليدفع عنها بعض أخبار القتل والقتال التي شاعت عنها خلال سنوات وسنوات..

إنّ على صاحبنا إعداد نشرة الأخبار والظّهور بها في وقتها دون تأخير ولو لثانية أو ثانيتين..

وهو يعدّ النشرة ويرتّب الأخبار، حسب أهميتها وقيم المؤسسة في ترتيب الأولويات لدى المشاهد، يحتاج إلى متحدث من الجزائر مثلا ويريده بالصوت والصورة، فهل تظنون أنّ في وسعه الحصول على ذلك بالسرعة التي تحدّث في دول أخرى تزدهر فيها الخدمات الإعلامية..؟؟

وهل في استطاعته الصبر على بطء الإجراءات، وتردد المسؤولين في قبول التحدّث مع القناة من عدمه..؟

وفي المقابل سيجدّ البديل جاهزا: وزير مغربي سابق، وحتىّ حالي، أو سياسي أو أكاديمي.. وبينه وبين الأستوديو في الرباط خمس دقائق أو عشر على الأكثر، ويكون حاضرا ليفرغ في آذان المشاهدين ما يشاء.. وغير الرباط هناك عواصم أوروبا وخدمات الاتصال المتميزة فيها وأعداد المتحدثين الغفيرة من الجزائريين وغيرهم.

إنّ الأمر لا يحتاج إلى كثير عناء... وما هو إلا توفير خدمات تقنية وتخصيص متحدثين إعلاميين نشطين حاذقين لمختلف المؤسسات والجهات.. وقبل ذلك وبعده نحتاج إلى تغيير نظرنا لقضية التعامل مع وسائل الإعلام، فنمدّ معها الجسور ونصبر على بعض مشاغباتها وتوجّهاتها في التغطية، ونؤمن بأنّ التواصل من متطلبات زمن الإعلام، وأنّه أكثر من ضرورة، وأنّه لن يمسّ كرامتنا وسيادتتنا كما يظنّ البعض.

2010-10-16

الابداعُ الجزائريّ...!!

تقريرُ شُكْلِ الحكومة هو أعظم وأقدم مشكلة في
البشر، وهو المعترك الأكبر للباحثين والميدان الذي قلَّ
فيه من البشر من لا يجولُ فيه على فيلٍ من الفكر،
أو جمَلٍ من الجهل، أو على فرسٍ من الفراسة، أو
على حمارٍ من الحمق، حتّى جاء الزمَنُ الأخيرُ فجال
فيه إنسانُ الغرب جولةً المغوار، المُمْتَطِي في التدقيق
مَرَابِ البُخَار.



الكلام السابق منقول عن كتاب (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) لصاحبه المفكر عبد الرحمن الكواكبي، ذلك الرجل الذي عاش ثائراً على الظلم ومات غداً على يد أحد المستبدين..

يضيف الكواكبي في هذا السياق: (فَقَرَّرَ، أي إنسان الغرب، بعض قواعد أساسية في هذا الباب تضافر عليها العقل والتجريب، وحصص فيها الحق اليقين، فصارت تعدّ من المقررات الإجمالية عند الأمم المتقدمة، ولا يعارض ذلك كون هذه الأمم لم تنزل أيضاً منقسمة إلى أحزاب سياسية يختلفون شيعاً، لأنّ اختلافهم هو في وجوه تطبيق تلك القواعد وفروعها على أحوالهم الخصوصية).

أسوق هذا الكلام، مع بعض التحفظ، بين يدي الكمّ الهائل من الجدل الذي يدور في الساحة السياسية الجزائرية حول الإصلاحات المرتقبة..

أسوقه متفائلاً بأن يكون الجدل من ذلك النوع الذي تحدّث عنه الكواكبي، أو على الأقل في وجوه الوصول إلى قواعد وفروع الحكم والسياسة التي تصلّ ببلادنا إلى قدر معقول من الإجماع حول الخطوط العريضة، ويكون حادي الجميع في طريقهم مصلحة الوطن وحده وحمايته من مغامرات دعاة الخروج إلى الشارع، أو حلفائهم العاصين بالنواجذ على مراكز القرار والمسؤولية حيث لا يرون أنفسهم من دونها شيئاً مذكوراً.

عناوين الجدل كثيرة ومنها: هل تتحوّل الجزائر إلى النظام البرلماني أم تظلّ على حالها مع الرئاسي..؟

أين تتجّه البلادُ بعد أن وجدت نفسها أمام معضلتين: الأولى داخلية أملتّها الوضعيّة الرّاهنة للجهة الشّعبية المتميّزة بالغليان والاحتجاجات والاضطرابات..

والثانية خارجيّة جاءت من رياح التّغيير التي عصفت على عدّة بلدان عربيّة..؟

هل يكفي استعمال القنوات الديمقراطيّة داخل القاعات لامتصاص الاحتقان الشّعبيّ، والمطالبة بالتّغيير الجذريّ والابتعاد بالتّالي عن الشّارع الذي قد يودّي إلى انزلاقات في الوضع..؟

هل يغني الإعلان عن إصلاحات سياسيّة، أم أنّ الشّعب يريدُ سقفاً زمنياً واضحاً دون ممانعة وتلاعب بعامل الزّمن..؟

وهل الإصلاحات ضرورة تمليها طبيعة الحراك الإنسانيّ، أم أنّها عودةٌ إلى الوراء وتتكزّر للإنجازات التي عرفتها الجزائر منذ خمسين عاماً..؟

وهل نحن في حاجةٍ إلى إعداد قانون جديد للانتخابات والأحزاب والإعلام يضمن حريات حقيقيّة وحركيّة سياسيّة فاعلة، ومن هناك نجد أنفسنا أمام التّغيير السّلميّ في التّوازنات والمعادلات السياسيّة القائمة منذ عشر سنوات على الأقلّ..؟

كلامٌ كثيرٌ حول ضرورة التّعجيل بالإصلاحات، أو الهروب إلى الأمام عبر محاولات شراء السّلم والأمان الاجتماعيّ من خلال بوابات القروض والمشاريع والأعداد الهائلة من مناصب العمل المقترحة وغيرها..!

لكنَّ السَّؤالَ المطروح: هل يغني هذا الحذرُ من قَدَرٍ قد يكونُ في الأفق ويحاولُ كثيرون استبعاده بترديد عبارات شبه متطابقة مفادها أنّ الجزائر اکتوت بنار الفتنة ونالت نصيبها من الاضطرابات فدفعت ضريبةً غاليةً بدم أبنائها خلال العشريّة السّوداء؛ وبالتالي تطلُّ فكرةُ الخروج الكثيف إلى الشّارع خارج الحسابات السّياسيّة والسّيناريوهات التي تتوقّعها الجهات النّافذة ومن حولها..؟

إنّ إشاعاتٍ وأخبارًا كثيرةً تسري سريان النّار في الهشيم بين المواطنين، وملحّصُها أنّ الرّئيس عبد العزيز بوتفليقة في طريقه إلى إعلان إصلاحات حقيقيّة وتحولات جذريّة تتناسبُ مع المرحلة التي تمرّ بها بلادنا ومحيطها المغاربيّ والعربيّ.. لكنّ بعض أصحاب المصالح الاقتصاديّة والسّياسيّة لا يرضيهم ذلك، ويلوكون في هذا السّياق مبررات ومخاوف بعضها وجيه من النّاحية الشّكليّة فقط، أمّا البعض الآخر فقد أكلَ عليه الدّهرُ وشرب.

يقولُ أحدُ الحكماء: (من لا يغيّر آراءه مثله مثل الماء الرّاكد يسمخُ للزّواحف أن تنمو في عقله)..

وكلُّ متابعٍ للشّأن الجزائريّ يدركُ حجمَ وخطرَ الزّواحف السّياسيّة والاجتماعيّة والثّقافيّة التي اجتاحت الجزائر في عدد من المراحل، بسبب جمود الآراء الذي ولّد زواحف في العقول، مثلما يحدثُ مع مياه المستنقعات التي تظلُّ زمنة دون تجديد من أمطار أو ثلوج ذائبة.

ماذا يريد هؤلاء تحديداً..؟

هل يرغبون فعلا في دفع البلاد نحو الاحتقان ثمّ الفوضى

العامة..؟

بينما يُجمَعُ العقلاءُ على أنّ الوضعَ الرَّاهنَ في حاجةٍ إلى خطابات
ورسائلٍ تهدئةٍ صادقةٍ من جميعِ الأطرافِ وإلى أبعدِ الحدودِ.

نعم لقد عرفنا التّغيير منذ 1989، لكنّ ذلك زمان وتلك أجيال..
فالله الله فينا، ارحمونا من مثل هذه العبارات لأنّها صارت مستقرّة،
وعلى أصحابها أن يتحفونا بسكوتهم، وهو أضعف الإيمان في هذه
المرحلة العصيبة من تاريخ الجزائر.

إنّ التّغيير ضرورة إنسانيّة مستمرّة، والمراجعة الدّورية للأوضاع
والسياسات من شيمِ الحكماء، والهروب إلى الوراء والاحتماء بالماضي
لم يعد مستساغاً من أحد، وليس بين أيدينا سوى الهرولة إلى الأمام،
بل الرّكض السّريع حتّى تتناغم سياساتنا وأساليبُ حكمنا مع تطلّعات
الشّباب الدّين يشكّلون ثلاثة أرباع المجتمع الجزائريّ.

تعالوا لنتداعى بصوت واحد: لا نريدُ ضغطاً سياسياً غريباً ولا
تهييجاً إعلامياً شرقياً، لكننا نريدُ إبداعاً جزائريّاً خالصاً يختزلُ المشكلةَ
والمخاوفَ ويصلُ بالبلاد إلى شاطئ الأمان..
إنّنا متميّزون في كثير من الجوانب، فتلكن خطواتنا وإجراءاتنا
وإصلاحاتنا متميّزة..

إنّ الإبداعَ هو أن ترى ما لا يراه الآخرون.. وقد برهن الآخرون
عن تخبطهم وفشلهم في عدّة دول عربيّة أثناء محاولاتهم الخروجَ من
عق الزّجاجة.. ونأملُ أن يتجنّب صانع القرارِ في الجزائر جميعَ
المطبّات والمزالق والحفر التي وقع فيها الجيرانُ والإخوانُ العرب.

2011-04-16

اغْمِضُوا أَعْيُنَكُمْ يَا سَادَةَ...!!

قاربَ المائة من العمر وما زال يقومُ بنفسه على شؤونه الضرورية الخاصة.. يكابدُ عناء الشيخوخة مع أولاده وأحفاده بعد أن سبقته زوجته إلى الدار الآخرة قبل عدّة سنوات.. صابرٌ وشاكرٌ دائماً، وعندما أسأله عن حاله يحمّدُ الله على ما فيه من خير، ثمّ يعلّقُ على مظاهر التعب البادية عليه بقوله: على الذّي أكلَ سهمه أن يغمضَ عينه عمّا في أيدي غيره.



إنه شيخٌ مجربٌ عاشَ أيامَ الاستعمار والمجاعات والأوبئة وساهمَ في الثورة بماله وبيده، وصار بعد الاستقلال أحدَ وجهاء منطقتة المعروفين عبر خدمة الصّالح العامّ والإصلاح بين النَّاسِ..

إنّه باختصار كتابٌ كبيرٌ الحجم من التجارب والحكم والقصص والوقائع مع أنّه أميّ لا يعرفُ من القراءة والكتابة إلّا الشّيء اليسير.. الشّيخُ يستحضرُ قصّة السّهم من حياة الأسفارِ في الماضي حيثُ كان الرّفاقُ يستريحون في طريقهم لأجل الغداء أو لطهي صيد اقتنصوه أو غنيمة أصابوها، وفي مجلسهم يقسمون ما بين أيديهم ليأخذ كلّ واحد سهمه، فإذا أكلَ قسمته ونصيبه المفروض له؛ تمنعُه الرّجولة والمروءة وسموُّ النَّفس من النَّظر إلى ما في أيدي غيره، وإذا تحرّكت شهوة النَّفس لجمّها بقوة.

لنترك الشّيخَ وشأنه مع شيخوخته الهادئة بين أولاده وأحفاده، وحتىّ أحفاد أولاده.. يشعرُ بالراحة والقناعة التّامة والطّمانينة لأنّه لا ينظرُ إلى سَهْمِ غيره كما يحلو له أن يردّد دائماً..

نتركه لنتحوّل إلى ذلك الجدل الكبير والأحاديث الطّويلة حول التّعديلات الدّستورية والإصلاحات السّياسيّة التي ستشرعُ فيها بلادنا بعد أن أعطى الرّئيس عبد العزيز بوتفليقة إشارة الانطلاق خلال خطابه الأخير.

حزمة إصلاحاتٍ مزمعة في قانون الأحزاب والانتخابات والإعلام والجمعيات والولاية وغيرها..

والمأمولُ طبعاً أن تودّي إلى تهدئة الأوضاع المرشّحة للغليان، عبر سكّبِ بلسمِ الطّمانينة على النفوس الثائرة الغاضبة التي فاضت

كؤوسها بعد أن امتلأت بأخبار الفساد والمفسدين وإهدار المال العام..؟

يحدث ذلك، وهو ما زاد الطين بلةً، وسط عجز المجالس المنتخبة الوطنية والمحلية، ووقوفها مكتوفة الأيدي إلا من مبادرات إنشاء الهيئات واللجان الخاصة بمكافحة الفساد..

لجنةٌ تولدُ من رحم لجنة، بينما يتزأج الفساد ويتكاثر...!
لجنةٌ مراجعة الدستور سترى النور في وقت قريب، حسب بعض المصادر، وهو مؤشر على أن العناصر الوطنية النظيفة عازمةً على المضي في طريق الإصلاح والتغيير..

اللجنة ستتشكلُ من الأحزاب السياسيّة المعتمدة، ومنظمات المجتمع المدني، والخبراء الدستوريين، والمنظمات الجماهيرية الفاعلة..

والخلاصة أن في الأفق القريبة إصلاحاً حقيقياً، لكن النتائج الأولية ستظهر في الاستحقاقات الانتخابية القادمة سواء المحلية أو البرلمانية، حيث يأملُ المتفائلون، ونتمنى أن يزداد عددهم، أن تقصي التغييرات الجديدة جميع العناصر التي انتهت صلاحيتها منذ فترة طويلة، ولم تعد نافعة لنفسها فضلاً عن غيرها..

والبديلُ هو تلك العناصر النظيفة التي تملأ البرلمان والمجالس المحلية نشاطاً حقيقياً، وسعيًا دؤوبًا لخدمة الوطن والمواطن أولاً وأخيراً.

ولأن النتائج تحكمها المقدمات، فإن لجنة مراجعة الدستور، وأي لجنة للإصلاحات، لا بد أن تضمّ وجوهاً جديدةً في أفكارها وأعمارها

ومواقفها ومواقفها السّياسيّة والتّغييرية، وإلّا فإنّنا لن نفعل الشّيء الكثير، وتظلّ دارُ لقمان على حالها في الجوهري، عدا بعض الرّايات والزّينة والدّيكور والألوان التي لا تغيّر من حقيقة الأمر إلّا اليسير..! جدلٌ يدورُ حول النّظام الذي ينبغي أن تُصوّبَ حوله اللّجنة أهدافها، وهل يظلّ رئاسياً أم يتحوّل إلى شبه رئاسيّ، أو يقفز مباشرةً إلى النّظام البرلمانيّ..؟

ومع كامل الاحترام لأصحاب جميع الآراء والمساندين لهم؛ فإنّ الخلاف يظلّ شكلياً إذا صوّبنا جميعاً على الجوهري، وهو الوصول إلى دولة الحريّات الكاملة وسيادة القانون والقضاء المستقلّ القويّ الذي يقف أمامه الجميع سواسيّة، دون أيّ حصانة لأحد كائننا من كان.

وعودة إلى ذلك الشّيخ وكلامه وقناعته ندرك أنّ الإصلاح المنشود هو الذي يضعُ معايير واضحةً وجريئةً تفرّزُ قوى وعناصر جديدةً، وتوصلُ الشّبَابَ إلى مواقع التّأثير والحكم، فتضعُ سكّة البلاد على طريق التّغيير الفعليّ، وهكذا نجدُ أنفسنا على أبواب مرحلة جديدة يختفي فيها أولئك الذين أكلوا كثيراً ولم يشعروا بالشّبع بسبب الجشع والأناضيّة، حتّى أولئك الذين تربّعوا على كراسي المسؤوليّة وخدموا وحافظوا على نظافة أيديهم، فقد آن لهم أن يغادروا لنفسح المجال للأجيال الجديدة حتّى تظفر بشرف المساهمة في بناء الوطن، لأنّ حبّه والتّفاني في خدمته حقٌّ مكفولٌ للجميع.

إنّ الظروف الداخليّة والخارجيّة تدعونا إلى إصلاحات تفضي إلى غرس ثقافة الاكتفاء بالسهم الواحد وإغماض العين عن أسهم الآخرين قناعة وخُلُقاً وشهامة..

إصلاحات تؤسّس لضوابط وقوانين صارمة تلجم الشّهوات الحيوانيّة الأنانيّة التي تتحرّك بوحشية للاستيلاء على أسهم الآخرين في الحكم والمال العام والحريّات وغيرها!..

يتحدّث بعضُ المتشائمين عن أطرافٍ مشبوهةٍ تحاولُ ركوبَ موجة الإصلاحات دون قناعة ورغبة، وتهدفُ من وراء ذلك إلى تأجيل التّغيير الحقيقيّ..؟

والأملُ معقودٌ أن تكون تلك الأطراف في طريقها إلى (التّوبة) التّامة من أدران الماضي، لأنّ الزّمن تغيّر ولم نعد في حاجة كبيرة إلى الغوص في موسوعات التّاريخ؛ فما تمطرنا به وسائلُ الإعلام على المباشر صار تجسيدا حيّاً لأحداث الماضي عبر شخوص الحاضر، وفيه دروس وعبر عظيمةٌ لكلّ من به بقيةٌ عقل، فكيف بالعقلاء وحتّى أنصاف العقلاء من هؤلاء وأولئك..؟

إنّ الطّبيعة لا تعرفُ الفراغ أبداً، وقد امتلأت الأجواءُ في العقود الماضية بثقافة التّبرير والتّصفيق للرّعيم، وتلك الثّقافة الجوفاء في طريقها إلى الزّوال التّام من عالَمنا العربيّ، والبديلُ هو مصطلحات وتطبيقات المساءلة والمحاسبة والمشاركة والتّداول الحقيقيّ على الحكم.

2011-04-23

مَالِي.. وَالذَّورُ الْجَزَائِرِيّ..!؟

عندما تصرُّ الجزائرُ على السّياسة كَحَلٍّ وحيِدٍ
للأزمة التي تعصفُ بدولة مالي، جارتنا الجنوبيّة،
وعندما ترفضُ المشاركةَ في أيّ تدخّل عسكريّ في هذا
السّياق وتصفه بالخطأ الكارثيّ، في حال وقوعه؛ ندركُ
بسهولة أنّ هناك وضوحًا في الرّؤية لدى صانع القرار
الجزائريّ، وأنّ المسرحيّة التي تمّ إخراجها سخيّفة ولا
يمكن أن تقنع أحدًا البتّة.



إنّ الصّورة واضحة بالنّسبة للجزائريين وملخّصها أنّ أيّ تدخّل عسكريّ غربيّ، ولو حملَ وجوهًا وملاحَ أفريقيّة، ستكون له عواقب وخيمة على المنطقة، وسيخلطُ أوراقًا كثيرةً ويبعثُ بعضها في الهواء، وقد يصعبُ جمعُها بعد ذلك وإعادة ترتيبها..

وسواء رحل الأجنبيّ عن المنطقة بعد حين، أو ظلّ فيها تحت أيّ مسمّى؛ فإنّ الفاتورة الأساسيّة ستدفعها دول المنطقة، خاصّة الجزائر، وسيكون الدّفع من رصيد الأمن والحدود والتركيبة السّكانيّة.

السّاسة الغربيّون يحاولون إيهامنا منذ عدّة أشهر أنّ هناك خطرًا داهمًا من شماليّ دولة مالي، ولا بدّ لجميع الجيران من المشاركة في صدّه عبر الاصطفاف وراء تحركات عدد من الدّول الأوروبيّة في المنطقة، والمخطّطات التي تمّ إعدادها خصّيصًا في هذا الاتّجاه، وربّما تعودُ لعدّة سنوات ماضية، قبل هذا الانقسام الذي عرفته مالي في الشّهور الأخيرة..؟

وتذكّرنا تصريحاتُ بعض السّاسة الأوروبيّين حول ما يجري في مالي، والأبواق الإعلاميّة التي تروّج لمصالحهم، ببدايات القرن الواحد والعشرين عندما أوهمونا أنّ العالم بأسره قد تحلّل من كلّ شيء ووقف منصتا بكلّ حواسه لتلك البيانات الصّادرة من كهوف أفغانستان، حيث أسامة بن لادن والملاّ عمر والقاعدة وطالبان، وحيث الإعصار المدمر الذي سيقبّل العالم رأسًا على عقب إن لم يتحالف الجميع مع الإدارة الأمريكيّة وينصاعوا لأوامرها..!!

ومن خلال استغلال جورج بوش، وجماعته من المحافظين الجدد، لتلك البيانات التي قسّمت العالم إلى (فسطاطين: كفر وإسلام)، وعبر

البكاء الأمريكي على أطلال بُرْجِي مركز التجارة العالمي في نيويورك؛ ضرب القوم بقسوة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وداسوا على شعوب وحكوماتٍ وأدّلوا زعماء ورؤساء، وخطفوا أناساً من الشوارع لمجرد الشبهة وسجنوهم سنين طويلة..

وكلّ ذلك تحت ذريعة الحرب الكونية على الإرهاب، وشعار بوش الشهير: من ليس معنا فهو ضدنا..!!

وربّما يصعبُ التكهّن بجميع تفاصيل ما يدور وراء أسوار مخابر صنع السياسة الغربية في المنطقة، لكنّ المؤكّد أنّ قراءة بعض الأوروبيين لشعوبنا، وعدد من حكوماتنا، غير صائبة على الإطلاق، خاصّة وهي تواصلُ العزفَ على الأوتار القديمة نفسها وتستعملُ فزاعةَ الإرهاب والجماعات المسلّحة لتنفيذ مخطّطاتها وتحقيق مصالحها على حساب الأرض والإنسان.

صحيح أنّ الشعوب والحكومات الغربية تتفوّق علينا بمراحل في مجالات عديدة، لكنّ الصّحيح أيضاً أنّنا في زمنٍ آخر لم يعد الاستغفال فيه ممكناً في كلّ الأحوال، وهكذا من حقّنا أن نستهنّ عمليّات الاستخفاف والاستهانة بالعقول عبر التّسويق للتّدخل العسكريّ في شمالي مالي لتطهيرها من المجموعات المسلّحة وإعادة الوحدة من جديد، وعبر ذلك النّفخ الكبير في جلد تنظيم القاعدة ليتحوّل مرّة أخرى، كما حدث سابقاً في أفغانستان، إلى العدو رقم واحد الذي لا ينبغي لدولة في المنطقة أن تتردّد في محاربتة عبر المشاركة في العمليّات العسكريّة بأيّ شكل من الأشكال.

لقد تصوّرتُ لبعض الوقت، بعد رحيل جورج بوش عن الحكم وخادمه الأمين توني بليير، أنّ زمن الاستغفال قد تراجع إلى الوراء ولن يعود مرّة أخرى، بل توقّعتُ تطوّرات أكثر حيث الإفراج عن بعض أسرار ما حدث من تضخيم متعمّد لهذا الملفّ لأغراض لم تعد خافية على الكثيرين..

لكنّ صنّاع المصالح الغربيّة مضوا في غيهم القديم دون مراعاة لتطوّر مستويات الوعي التي تعرفها شعوبنا، وبشكل متسارع. لقد شهدنا قبل سنوات معدودة ما جرى في دولة نيجيريا، وكيف تمّت صناعة الإرهاب هناك، وعلى مرأى ومسمع لمن أراد أن يرى ويسمع..؟

رأينا كيف اعتقلت قوأت الأمن أفرادًا من جماعة (بوكو حرام) الإسلاميّة، وكيف تمّ تعذيبهم بوحشيّة وتصفيّة بعضهم جسديًا دون أيّ محاكمة، وفي الأخير تقومُ جهةً مجهولة، وربّما معلومة، بتسريب مقاطع فيديو لعمليات التعذيب والإهانة التي تعرّض لها عناصر بوكو حرام، وتتداولها الفضائيات ومواقع الأنترنت، وتتحوّل الجماعة في وقت قياسي من جماعة دينيّة، وإن كانت متطرّفة في أفكارها ونظرتها للغرب، إلى تنظيمٍ مسلّحٍ يستهدفُ الجيش والأمن والمواطنين المسيحيّين.. ولمصلحة من..؟؟

تفاصيلُ الجواب قد تضيعُ وسط قعقة السلاح إلى فترة نتمنى ألا تدوم طويلا.

إنّ تضخيمَ ملفّ القاعدة والإرهاب عند جيراننا الجنوبيّين لم يعد سرًّا تتداوله مجموعةٌ محدودةٌ من صنّاع القرار في هذا البلد أو ذاك،

بل تحوّل إلى فيلم سيّئ الإخراج والتّمثيل، ورسّخ قناعةً لدى شعوب المنطقة أنّ مصلحة الغرب في ظهور الإرهاب لا في غيابه، ولهذا نتابعه وهو يجتهد في صنعه كلّما احتاج إليه.

إنّها سياسة المصالح الغربيّة التي أنهكت القارة الأفريقيّة قديما أيام الاستعمار المباشر، ثمّ واصلت استعمارها بشكل غير مباشر من خلال أنظمة ضعيفة وعميلة في كثير من الحالات، وعبر شركات تستغلّ الثروات وتستنزف الخيرات دون أدنى مراعاة لثلاثيّ الجوع والمرض والجهل الذي يفتك بالشعوب.

وأخيرا..

لا بدّ من التّأكيد على أنّ الموقف الجزائريّ تجاه التّحركات الغربيّة في دولة مالي مهمّ للغاية، وهو المعوّل عليه في إحباط أيّ مخطّطات بعيدة المدى تُحاك ضدّ دول المنطقة، ومن دواعي التّفاؤل والأمل أنّ الجهات الجزائريّة المختصّة تدركُ تفاصيلَ خيوط اللّعبة في شماليّ مالي.. الأمر الذي يؤهلّها لفرض الحلّ السّلميّ الذي يحفظ للمنطقة أمنها واستقرارها ويفوّتُ الفرصةَ على محترفي الصّيد في المياه العكرة.

2012-11-17

مِن الصِّنَاعَةِ الاستِعْمَارِيَّةِ إِلَى المَغَارِبِيَّةِ

ما هي أهمّ العوامل التي أثّرت في مسار البلاد الأوروبية بعد الحرب العالميّة الأولى..؟؟ وكيف تمكّنت من (الشّفاء) العاجل بعد جروح قاتلة خلّفتها مأساة مدمّرة بحجم الحرب العالميّة الثّانية..؟؟ إنّ أهمّ العوامل هي ذلك التّغيير الجذريّ الذي طرأ على منظومة القيم التي كانت تحكم تلك البلاد خلال القرون الماضيّة.. لقد أدرك القوم قيمة التّعاون والتّقارب.



تذكّرتُ هذا الدرس العظيم الذي قدّمته أوروبا للعالم الحديث وأنا أقرأ أخباراً جزائريّةً سارةً حول ملفّ التّعاون مع الجارة الشّقيقة تونس، وما يحمله هذا الملفّ من آفاق تخدمُ الشّعبين على جميع الأصعدة، وعبر المدى القريب والمتوسّط والبعيد، كما ستساهمُ بشكل مباشر في بعث الأمل لدى شعوب المنطقة في ذلك الفضاء المشترك الذي ينتظره الجميع بشغف.

يتحدّثُ الخبرُ عن اقتراحِ جزائريّ بتأسيس صندوقٍ مشتركٍ مع تونس لدفع الاستثمار الثنائيّ، وصياغة منظومة قانونيّة ثنائيّة لتسهيل تمركز الشّركات في البلدين، ثمّ يوضّحُ الخبرُ أنّ هذه المبادرة تأتي في أعقاب الخطوة الإيجابيّة التي قطعتها تونس مع الجزائر قبل أيام عندما قرّرت تسهيل الإقامة للجزائريّين الراغبين في العيش في تونس.

الحديثُ يدور حول ضبط قائمة مشاريع أوليّة في كلّ القطاعات والمجالات لتشجيع الشّركات على الاستثمار في تونس والجزائر، ويتمّ التأكيد في الوقت ذاته على ضرورة توفير ضمانات لفائدة المستثمرين في البلدين، وتعزيز التّعاون من أجل إرساء شراكة أقوى بين البلدان المغاربيّة.

وعودة إلى منظومة القيم الجديدة التي حولت بلدان أوروبا من إدمان النّزاع لقرون طويلة إلى السّعي الحثيث نحو التّعاون والتّقارب، حتّى وصلت إلى وضع الاتّحاد الحالي، وما حقّقه من إنجازات يشاهدها العالم من الخارج ويلمسُ ثمراتها المواطن الأوروبيّ من الدّاخل..

عودة إلى تلك المنظومة لنعلن لأنفسنا، في الجزائر وتونس، بوضوح أنّ منظومة القوانين وحدها لا تكفي في الوصول إلى تعاون اقتصاديّ

حقيقيّ يثمرُ نتائجَ يحترمها المراقبون للمشهد من جميع الجهات، العالم العربيّ وأفريقيا وجيران الضّفة الشمالية... .

ويحسُّ بها المواطنون في البلدين الجارين على صورةٍ واقعٍ إيجابيّ ملموس، وليست شعارات وجعجات في وسائل الإعلام دون (طحين حقيقيّ) يراه المواطن بين أنامله.

إنَّ بَعَثَ روحَ التّعاون من جديد بين بلدين شقيقين يحتاجُ إلى منظومةٍ من القيم ترقى إلى مستوى ما وصلت إليه شعوبٌ كثيرة في الشرق والغرب والشّمال والجنوب، حيث طَلّقت سنوات الآفاق الضيّقة والمصالح الأنّيّة، وراحت تؤسِّس لفضاءات كبرى قادرة على المنافسة في عالمٍ صارت سِمَتُهُ البارزةُ هي التكتّلات والتّجمعات واستراتيجيّات طويلة المدى، قد لا نبالغ إذا قلنا إنّها لا تقف عند خمسين أو مائة سنة فقط، بل تصل إلى مئات السنين.

إنَّ منظومةَ القيم الجديدة تنبعثُ من قياداتٍ ونُخبٍ تجمعُ بين علوِّ الهمة واتساع المدارك، والإخلاص الشّديد للوطن والأمة.. . وتبدأ عبر أدبيّات وسلوكيّات جديدة تنبذُ الانغلاق على الذات والاعتداد الزائد بالنفس، وتنطلقُ من ثقافة جديدة مفادها أنّ اليد الواحدة لا يمكنها التّصفيق منفردة، وإنَّ صَفَّقت بعض الوقت ونجحت في ذلك أو توهّمت.

منظومةُ قيمٍ تؤسِّسُ لعلاقات أقوى وتمحو آثارَ النّقسيمات والنّعرات، وتحوّل الإنسان إلى عالمٍ الإيجابيّة والتّفاعل مع جيرانه، ومعها منظومةُ قوانين تجعلُ من مشاكل الماضي (سخافات)، لأنّ التّكامل والتّعاون

حينها لن يترك مجالاً لمهربيين على الحدود فتشكو هذه الدولة مثلاً من وقودها الذي يباع هناك، أو موادها الأولية أو ثرواتها الحيوانية.

لقد حملَ الرئيسَ التّونسيّ المنصفَ المرزوقي في جولته المغاربية العام الماضي الكثيرَ من المقترحات الجريئة وبدا الرجلُ واثقاً ممّا يقول...

لكنّ واقعَ الحال يقولُ إنّ تلك الثّقة لا تغني وحدها، لأنّ المعطيات التّونسية لا تكفي بمفردها لتحريك مياه المغرب العربيّ الرّاکدة، ودفع عجلة التّعاون نحو آفاق تقتربُ مما يحدثُ على الصّفة الشماليّة للمتوسّط..

إنّ مبادرات المرزوقي ستجدُ طريقها نحو التّطبيق عندما ينطلقُ قطارُ التّعاون الجزائريّ التّونسيّ بأقصى سرعة ممكنة.

إنّ الجزائر وتونس وقّعتا خلال العام الماضي على 12 وثيقة تعاون في القطاعات الاقتصادية والثقافية والخدماتية، وقد ظهر الخطُ البيانيّ للتبادل التجاريّ بين البلدين في ارتفاع سنة بعد أخرى؛ ففي عام 2010 بلغ حوالي 600 مليون دولار متفوقاً على العام الذي قبله...

وتشيرُ تقديرات عام 2011 إلى بلوغ قيمة المبادلات نحو 700 مليون دولار، وستشهدُ العام الجاري زيادة كبيرة تتناسب مع حجم التّقدم في العلاقات، وعدد الاتفاقيات الموقع عليها بين الطّرفين. وأخيراً...

قبل الشّروع في كتابة كلمات هذا المقال أنهيتُ قراءة كتابٍ صغيرٍ لا تصلُ صفحاته إلى المائة، ويحملُ عنوان: (شاهد من الثّورة، مذكّرات المجاهد مبروك حمّتين)..

والرّجل، الدّي ما زال على قيد الحياة، من مجاهدي المناطق الصّحراويّة المحاذية للحدود التّونسية، وقد نشط مع جيش التّحرير الوطنيّ في الأراضي التّونسية، وعلى الحدود وفي تبسة وصولاً إلى الأوراس الأشمّ.

الكتاب مشحونٌ ببطولات المجاهدين وصور المعاناة التي قاساها الشّعب الجزائريّ أثناء فترة الاحتلال الفرنسيّ، لكنّ محلّ الشّاهد هنا هو الحديث عن تونس من جنوبها إلى شمالها وكيف كان الجزائريّون يتحرّكون وكأنّهم في بلدهم، ولم يرد في شهادة الرّجل تدمراً من الشّعب التّونسيّ أو ذكراً لأيّ مواقف تُناقض روح الإخاء وحسن الجوار، بل كان الحديث عن بيوتٍ وأعمالٍ وأملاكٍ ليعلن بوضوح أنّ الفوارق بين الشّعبيين وهميّة، بل إنّها صناعة استعماريّة خالصة.

ونحن نحتفلُ بالذكرى الخمسين للاستقلال ما أحوجنا إلى مقاطعة (الصّناعة الاستعماريّة) التي صنعت الفروقَ والحواجرَ بين الأشقاء، ونستبدلُها بالصّناعة المغاربيّة التي تقولُ إنّنا شعبٌ واحدٌ مهما كان لونُ وشكلُ الأسلاك التي خلّفها المستعمرُ على الحدود.

2012-06-16

شُعوبُنَا تَسْتَحِقُّ أَكْثَرَ..

سَارَعُوا إِلَى دِقِّ الطَّبُولِ وَشَحَذَ السَّيُوفِ وَالْأَسِنَّةَ، وَبَدَأَ لَهُمْ أَنَّ طَبْعَةً أُخْرَى مِنْ حَرْبِ (الْبَسُوسِ) فِي طَرِيقِهَا إِلَى الظُّهُورِ، بَعْدَ طَبْعَةِ مِصْرَ وَالْجَزَائِرِ.. وَتَصَوَّرَ الْقَوْمُ أَنَّ فِي أَيْدِيهِمْ إِعَادَةَ عِقَابِ السَّاعَةِ إِلَى الْوَرَاءِ وَالتَّلَاعِبِ مِنْ جَدِيدِ بَعَوَاطِفِ الشُّعُوبِ، وَمِنْ ثَمَّ الشَّرُوعِ فِي عَمَلِيَّاتِ بَيْعٍ وَشِرَاءٍ وَتَحْقِيقِ أَرْبَاحٍ عِبْرَ بَطُولَاتِ زَائِفَةٍ ظَاهِرِهَا الدَّفَاعُ عَنِ الْأَوْطَانِ وَبَاطِنِهَا مَنَافِعُ ذَاتِيَّةٍ ضَيِّقَةٍ.



لقد فازَ الفريقُ الوطنيُّ على نظيره الليبيِّ في مباراةِ التَّاهلِ لنهائياتِ كأسِ أفريقيا، وانصرفت الجماهيرُ من ملعبِ البُلَيْدَةِ فَرِحَةً مسرورةً، وغادَرَ الفريقُ الليبيُّ إلى بلاده آمناً سالماً، وقلنا إنَّها صفحةٌ قد طُوِّيت والحمد لله..

لكن... حدثَ ما لم يكن في الحسبان حين حاولَ أصحابُ النفوسِ المريضة والأهدافِ المشبوهة، هنا وهناك، الاستفادة من أيِّ تصرفٍ أو صوتٍ ولو كان من ذلك النوعِ الَّذِي أدمنَ التغريدَ خارجَ السَّربِ دائماً، وعرفَ عنه القاصي والدَّاني هذا السُّلوكَ غيرَ السَّويِّ.

لقد أقدمَ أشخاصٌ في ليبيا، بعد المباراة، على الإساءة إلى الجزائرِ وشعبها من خلال حرق العلم الوطنيِّ، والاعتداء على السَّفارةِ الجزائريةِ في طرابلس...؟؟

وكان السَّببُ المعلنُ وراءَ خطيئتهم تلك هو بعض الهتافاتِ الشاذَّةِ التي انطلقت من حناجرِ جزائريةٍ أثناء المباراة، وفيها تمجيدٌ للقذافيِّ، ووصفٌ لأفرادِ الفريقِ الليبيِّ ببعضِ عباراتِ الرَّجلِ التي نَعَتَ بها خصومَه أثناء معركةِ إسقاطه...!!

لقد وضعَ العقلاءُ والمخلصون، في الجزائرِ وليبيا، أيديهم على قلوبهم خوفاً من فتنةٍ أخرى تشغلُ الشَّعبَ الجزائريِّ، وشقيقه الليبيِّ، عدداً من الشُّهور، وتكون تداعياتها أكبرَ من تداعيات ما حدث مع مصر سابقاً...

لأنَّ ليبيا دولة مجاورة، والملفاتُ المشتركة بينها وبين الجزائرِ كثيرةٌ وشائكة، وتأثيراتها سريعةٌ ومباشرةٌ على الدَّولتين.. لكنَّ الله سلَّم بعد أن اعتصم الطرفان بالحكمة وتخذلًا فيها.

لقد بدت الحكمة الجزائرية واضحة عندما قررت الجهات الرسمية تجاوز الأزمة المحتملة مع الجيران، كما جاء الاعتذار الليبي سريعا من خلال وفد رسمي زار السفارة الجزائرية، وعبر مكالمة هاتفية بين وزير الخارجية الليبي ونظيره الجزائري؛ حيث نقلت وكالة الأنباء الليبية الرسمية أن الاتصال الهاتفي بين الوزيرين تناول الأحداث المؤسفة التي وقعت عقب مباراة المنتخبين الليبي والجزائري لكرة القدم، كما نقلت تأكيد الرجلين على عمق العلاقات الأخوية التي تربط الشعبين الشقيقين، إضافة إلى الاتفاق على أن مثل هذه الأحداث لن تؤثر على هذه العلاقات المتميزة والعريقة بين الشعبين والبلدين.

الأمر نفسه عبر عنه الناطق الرسمي لوزارة الشؤون الخارجية الجزائرية عندما أكد أن الحادث لن يكون له أي تأثير على صعيد العلاقات بين البلدين والسعي لتطويرها، لكنه دعا السلطات الليبية إلى اتخاذ الإجراءات المناسبة وفقا للاتفاقيات الدولية لضمان حماية الممثلة الدبلوماسية والقنصلية الجزائرية.

أما المتخصصون في صناعة الفتن وتغذية النزاعات فقد أطلوا برؤوسهم بعد حادث الاعتداء على السفارة الجزائرية في طرابلس، وبدأت الأخبار العاجلة تتوالى، وظنوا لبعض الوقت أن سوقا جديدا قد قامت ولن تنفض قبل أشهر، كما حدث مع سوق مصر سابقا؛ حيث أكل الانتهازيون هنا وهناك وشربوا حتى الثمالة على حساب حناجر الشباب حين أوهموه أن المعركة جد لا هزل، وأنها الكرامة، كل الكرامة، ولا مفر من الذود عنها بالغالي والنفيس...!!

مَسْخَرَةٌ يا قوم.. فالى متى تستمرّ هذه المهازل..؟؟ والى متى تدوم
هذه السّخافات..؟؟ وأيّ مستقبل لنا جميعا إذا كان هذا هو مستوى
التّفكير الذّي قد يسودنا ويقودنا في القرن الواحد العشرين، حيث لا
مكان للضعفاء المنفردين، ولا حياة إلاّ للتكتلات الكبرى.

متى نطوي صفحة الأحكام المسبقة والتّفكير بالمشاعر وحدها
والحساسيات إلى الأبد..؟؟

إنّ شعوبنا تستحقّ أكثر من هذا.. إنّ من حقّها تجديد أولوياتها
وترك مرحلة القيل والقال والجري وراء كلمة هنا وأخرى هناك، ثمّ
الانخراط لأشهر طويلة في الشّتائم والشّتائم المضادّة..!!

إنّ الدّولة الفُطريّة التي عرفها عالمنا العربيّ بعد جلاء الاستعمار
في طريقها إلى الزّوال، أو الانكفاء على نفسها وقبول نوع جديد من
الاحتلال الأجنبيّ..

والمستقبل للتقارب والتّعاون وإنشاء الفضاءات الإقليميّة، بعد أن
تترسّخ بين الشّعوب قيّم التّعاون والتّفاهم والتّنسيق والتّكامل ومسح
صفحات الأحقاد الماضيّة.

وبدّل إشعال النّيران وإذكاء الفتن، دعونا نتأمّل ونحدّق بعيونٍ
واسعةٍ وعقولٍ واعيةٍ في تجربة الاتّحاد الأوروبيّ وما وصل إليه،
وكيف يعالجُ الآن مشاكلَ منطقة اليورو، وكيف يتهاوى مصطلحُ ما
يُعرف عندنا بالسيادة الوطنيّة أمام المصلحة العامّة للفضاء الأوروبيّ
الكبير واستراتيجيته ومخطّطاته ورؤيته البعيدة..؟؟

يا من يعينهم الأمر: توبوا من رجس الإثارة والأنانيّة، وحدّثوا
الشّعوب عن القواسم المشتركة بيننا، فهي أكثر بكثير ممّا عند

الأوروبيين، بل إنَّ المقارنةَ غير مستساغة من الأساس، فبين شعوب أوروبا من الثَّارات والدِّماء والحروب، خلال القرن الأخير فقط، ما يكفي لإقامة جدران فولاذية بين كلِّ دولة وأخرى، لكنَّها قرَّرت النِّسيان والاتِّجاه نحو المستقبل.

وأخيراً.. لا بدَّ من التذكير بأهميَّة الإحساس بالمشكلة، فبدون هذا الأمر نطلَّ نراوْح مكاننا سنين أخرى، وربما أكثر.. لا بدَّ من الإحساس بأنَّ ما يحدثُ في عالم كرة القدم هذه السَّنوات لا يليقُ بتراثنا الحضاريِّ والثَّقافيِّ، ولا يليقُ بحجم روابطنا الدِّينيَّة والتَّاريخيَّة، كما لا يليقُ بنا حيث ما زال أماننا الكثير على طريق التقدُّم الحقيقيِّ في جميع المجالات.

لا بدَّ من الإحساس بعمق المشكلة حين تظهرُ عناوين كبيرة في جرائدنا لتخبرنا أنَّ الفريق اللَّيبي وصل بخير، وإقامته حسنة، وغادر دون مشاكل..

سبحان الله.. هذا هو الأصل فكيف يعدُّ خبراً من الأساس.. جازك وشقيقتك وقدَّ عليك.. هذا هو مساره الطَّبيعيِّ وليس العكس.

2012-10-20

من يخاف أردوغان؟

مررتُ بمطار مدينة اسطنبول خريف ألفين وأربعة
ومكثتُ ساعتين فقط في انتظار رحلتي التّالية، وأذكر
أنّ من بين ما اشتريت قارورة ماءٍ كان سعرها نصف
مليون ليرة تركية، وكنْتُ قد صرفتُ مبلغاً محدوداً من
الدّولارات إلى العملة التركيّة، فوجدتُ نفسي مليونيراً
لأوّل مرّة في حياتي، لكنني فقدتُ لقب (المليونير)
بمجرّد ركوبي الطّائرة من جديد ومغادرة المطار التّركي.



كان ذلك (الترانزيت) بعد عام ونصف تقريبا من تولّي رجب طيب أردوغان منصب رئاسة الوزراء في تركيا وحيازته على لقب (الصدر الأعظم) كما كانت التسمية في بعض مراحل الإمبراطورية العثمانية.. لقد كان المواطن التركيّ يشعرُ بالحرج من عُملته وحجم التّضخّم الذي أصابها على مدار السنين.

ومررتُ بمطار اسطنبول بعد ذلك، وكان وقت انتظار رحلتي عدّة ساعات، واحتجّتُ إلى الليرة التركية فحصلتُ مقابل اليورو الواحد على أكثر من ليرتين فقط، أي أنّ العملة التركية صارت تناطحُ العملات القويّة بعد أن تخلّصت من ذلك القدر الكبير من التّضخّم، وكان الفضل في ذلك لسياسات رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان.

عودة الروح إلى العملة التركية أشعرت المواطن بجديّة الرّجل ومن حوله، وهكذا أعاد الشعبُ انتخابه المرّة تلو الأخرى، والمفارقة أنّ أنصار الرّجل وحزبه ليسوا من المتديّنين فقط؛ فقد اقتنع بصدق برامجه خليطٌ من المواطنين يمثّلون الفسيفساء التركية.. لقد عاينَ النّاسُ الفرق في مجريات حياتهم الاقتصادية والاجتماعية، ومن ثمّ رأوا في الرّجل وحزبه أهلية كاملة لانتشال تركيا من مشاكلها والسير بها قدماً نحو مستقبل أفضل.

إنّ أردوغان، الذي زار الجزائر مؤخرًا، قصّة نجاح لا نطالعها في الكتب والمجلات المتخصصة، أو نشاهدها ونستمع إليها في أشرطة وثائقية وبرامج تلفزيونية؛ بل نعاينها يوميا من خلال الدّور التركيّ المتزايد في المنطقة والعالم، والنّجاحات الكبرى التي تتحدث عنها

الأرقام على مستوى الاقتصاد التركي حتى وصل معدّل النمو السنوي إلى عشرة في المائة في وقت تعاني منه أوروبا مشاكل ومتاعب اقتصادية جمّة، وتتكّرر قمم قاداتها واجتماعات خبرائها للخروج من عنق الزجاجة.

لقد تولّى أردوغان رئاسة الوزراء لأوّل مرة في الرابع عشر من مارس عام ألفين وثلاثة، وهاهي الجمهورية التركية، خلال عشر سنوات، تحقّق دخلا قوميا مرتفعا، وتصل إلى مستويات عالية من احتياطيّ العملة، وتراجع المديونية والتضخّم، وتجذب إليها أكثر من ثلاثين مليون سائح سنويا عبر خدمات مطاراتها الرائدة، وعلى رأسها مطار اسطنبول الدولي، وخطوطها الجوية النشطة التي نافست أكبر وأعرق شركات الطيران العالمية.. وفوق كلّ ذلك تصبّح الجمهورية لاعبا أساسيا في المنطقة والعالم على المستويين السياسي والاقتصادي.

لقد تغيّر وجه تركيا خلال عشر سنوات بالكامل، ووصلت إلى تقاليد وممارسات ديمقراطية تضاهي ما عند الجيران الأوروبيين، ومع ذلك تظل التفاصيل عرضة للنقد والأخذ والردّ، ولا غضاضة في ذلك عند أولي النهي، لكنّ الأمر المستهجن هو تلك التصرفات الحمقاء التي تريد ضرب كلّ إنجازات أردوغان وحزبه وحلفائه في صفر، والتركيز على الملفّ السوري والدور التركيّ فيه، أو مظاهرات المعارضة التركيّة الأخيرة على خلفية إحياء معلم تاريخي عثماني في

ميدان (تقسيم) بمدينة اسطنبول كان مصطفى كمال أتاتورك قد أزاله قبل قرابة سبعين عاما.

لقد زار أردوغان الجزائر بصحبة وفد كبير من رجال الاقتصاد والمال، ولم يكن معه معممون أو ملتحون، وهكذا فالزيارة اقتصادية استثمارية بالدرجة الأولى.. فما الداعي لكلّ هذه الحساسية التي ظهرت من بعض الجهات السياسية، وكأنّ الضيف الزائر يقتر أيديولوجية من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه، وسوف يترك أثارها على كلّ من يصادفهم أو يجالسهم أو يخطب فيهم كما حدث مع أعضاء البرلمان الجزائري.

ينبغي أن نتحلّى بالعقل والحكمة، وأن نركّز نظرتنا في مثل هذه الزيارات على أنموذج النّجاح البارز المائل للعيان.. ولتحقيق هذا الهدف نحتاج إلى عملية تصفية متواصلة تشمل جميع الخلفيات والأنماط والقوالب الجاهزة والأحكام المسبقة، ومن ثمّ سوف ننظر إلى أردوغان من زاوية النّجاح والإنجاز، وعندها سيبدأ قطارنا في الحركة الحقيقية لا الوهمية التي سئناها طوال هذه العقود.

إنّ الذين حكموا على أردوغان من منظور مظاهرات المعارضة واهمون، وما فعلوه مثير للسخرية أيضا لأنهم انحازوا إلى (ربيع تركي) لا يوجد إلا في أمانيتهم الصغيرة، مع أنهم أدمنوا الوقوف ضد (الربيع العربي).. وهكذا برهنوا مرّة أخرى على أن أدوات الوزن والقياس عندهم انتقائية مزدوجة، وإلا ما قارنوا بين مبارك وحكمه مدة ثلاثين سنة والقذافي وعقوده الأربعة وابن علي وثلاثة عشرين عاما

من حكم الزوجة والأصهار، وأمثال هؤلاء، وبين حكم رجب طيب أردوغان الديمقراطي والقفزات العملاقة التي حققتها تركيا على مدى عقد واحد من الزمن.

أرجوكم.. بعض الرفق بعقولنا، فقد ملأنا المناورات والألاعيب المكشوفة.. غلفوها بعض الشيء حتى نهضمها، ليس بسهولة وسلاسة تامة، لكن دون عسر كبير على الأقل، لأن المقارنة بين أردوغان وأساطين الاستبداد في الدول العربية لا تصح، ومن المعيب أن تصدر ممن يدعي احتراف السياسة والدفاع عن الشعوب والطبقات الكادحة.

اغسلوا أعينكم جيدا وأزيلوا عنها الغبار، واعلموا أن أهل الحكمة والصدق يتسابقون نحو الخبرة والفائدة مهما كان مصدرها، ويسعون إليها حتى إذا ابتعدت المسافات وتباينت الثقافات والحضارات، فكيف والخبرة تحط رحالها عندنا دون أن تكلفنا من المال والوقت إلا اليسر. إن زيارات رموز النجاح العالمي، من أمثال أردوغان، لا تخيف سوى الضعفاء والوصوليين وأرباب الفساد، لأن نماذج الشفافية والعمل الجاد تكشف عوراتهم الإدارية والاقتصادية والسياسية، وتدفع الناس إلى المقارنة ومن ثم التساؤل؟؟..

2013-06-09

جزائر جديدة ؟

بلغ عدد الحوادث المرورية الأربعة خلال سنة واحدة.. هكذا قال محدثي الشاب الذي يمتلك شاحنة قديمة يسترزق بها عبر نقل الحجارة الصالحة لصناعة الجبس.. ما سبب هذه الحوادث الكثيرة في مسافة لا تزيد عن عشرين كيلومترا؟.. إنها أشغال إعادة تأهيل طريق وطني.. وهل تؤدي الأشغال إلى الحوادث المرورية؟.. يحلُّ الشابُّ وآخرون اللغزَ بسرد تصرفات المقاول صاحب المشروع.



يقول الشَّباب إنَّ اللوحات الإرشادية المرورية التي يضعها المقاول، أو عمّاله في الميدان، لا تؤدي الغرض ولا تراعي سلامة السائقين وحياتهم، وهكذا يكون الانحراف في المسافة التي يتم تأهيلها قاب قوسين أو أدنى ولا تظهر أمام السائق لافتات التنبيه الصّفاء، الخاصة بالأشغال العمومية، إلا على مسافة قصيرة لا تكفي معها الفرْملة خاصة إذا كانت السّرعَة معتبرة، ليجد السائق نفسه في مواجهة حفرةٍ وهو أخفّ الضررين، أو سدّ من الرّمال وهو الضّرر الأكبر، لأنّ السيارة سوف تتضرر بالكامل ويلحق بصاحبها الأذى الجسدي فضلا عن المعنوي.

يوضّح الشباب مسألة الحاجز الرمليّ الذي يسدّ الطريق في المسافة التي تخضع لإعادة التأهيل، ويقولون إنّها أمر ممنوع، لأنّها قاتلة، فلو أنّ السائق تعرّض لحفرة عادية تفصل بين قطعتي الطّريق لكان الأمر أهون وما هي إلا هزّات وتتوازن السيارة من جديد، أمّا كومة الرّمل فلا محلّ لها من الأعراب، حسب الشَّباب، إلا في عقول الذين لا تعنيهم حياة الآخرين.

من أغرب ما تحدّث عنه الشباب أيضا في هذا الطريق ذلك المنعرج الذي يخفي وراءه انقطاعا ثم انحرافا مفاجئا، لكن لوحات التوجيه مثبتة بعد المنعرج، أيّ أن السائق سوف يسير في أمان الله ليجد نفسه أمام كومة رمل وعليه، إذا كان مسرعا، أن يتصرّف بأقصى ما عند الجنّ والإنس من عبقریات ليتقاضي حادثا مروريا محققا...!! والأدهى والأمرّ، حسب الشَّباب دائما، أنّ القائمين على

الأشغال وضعوا مرة إشارة الانحراف على كومة الرّمل التي تقطع الطريق، ومجرّد تخيّل المشهد يغني عن أيّ تعليق.

ومن الغرائب أيضا في هذا الطريق أنّ عمّال المشروع وضعوا في إحدى المقاطع لوحات مرورية تنبّه إلى ضرورة تقليص السرعة، لكنّ المدهش أنّ هذه اللوحات ظلت هكذا دون أنّ يمسّ أحدُ الطريق بشيء من الإنجاز أو الحفر، فتعوّد السائقون عليها وأنّها وهمية فقط، أو ليس لها ما وراءها.. نعم ظلت هكذا على حالها مدّة أسبوعين ثمّ شرع المقاولُ في حفر الطريق وتغيير الاتجاه ليجد السائقون أنفسهم أمام المفاجأة غير السارة، بل الضارة.. والملفت أيضا في أشغال هذا الطريق أنها بطيئة والطرق المؤقتة البديلة قليلا ما تكون صالحة للسير حيث الحفر الكثيرة والغبار المتطاير بسبب عدم تعهّد الطريق بالماء كما هو مشروط في مثل هذه العقود بين السلطات المعنية والمقاولين.

قلت للشباب: أين السلطات المحلية وأين والي الولاية من كل هذه المأساة التي تروونها بشيء من الثقة في النفس وكأنها حقائق لا يتطرق إليها الشكّ؟ قالوا: هيئات وهيئات، وهل يستطيع الوالي أن يتحدّث مع صاحب المقاول، إنّه جنرال سابق من ولاية أخرى، ويمكنه رمي الوالي في تامنراست بين عشية وضحاها.

وقبل مواصلة الحديث أوّد الردّ على وصف ولاية تامنراست بالمنفى، فهو ظلم كبير خاصة بالنسبة للذين يقرؤون مناطق الجزائر من زوايا أخرى، ويهملون القراءات القديمة المتمثلة في العزلة والبعد

عن المراكز الحضرية الكبرى والمسافة الكبيرة الفاصلة عن البحر الأبيض المتوسط الذي يعشق الكثيرون سواحله ويعتقدون باستحالة العيش بعيدا عنه، وربما كان لهم الحق من وجهة نظرهم.

أقول لهؤلاء إن تامنراست وبلاد الهقار من أكثر المناطق سحرا في الجزائر، وقدرها يعرفه الزوّار الذين يفدون إليها من داخل البلاد وخارجها للاستمتاع بمناظرها الخلّابة خاصة عند غروب الشمس، والعيش أياما بين السكان الملتّمين وتقاليدهم وعاداتهم وفلكلورهم وأهازيجهم الضاربة في القدم.

وعودة إلى الموضوع.. فقد ودّعتُ الشباب، وكان اليوم هو الجمعة، وتحركتُ بسيارتي صوب المدينة وغير بعيد عنها استوقفتني رجل، ولما اقترب عرفت أنه من سائقي حافلات النّقل الجامعيّ حيث تعود على العمل يوم الجمعة لخدمة طلاب الإقامة في تحركهم نحو السّوق والصلاة.. شرعنا في تبادل أطراف الحديث عن إضراب يشنّه طلبة إحدى الكليات فقطعت حديثنا شاحنةً من ذلك النوع المخصص لنقل السيارات المستوردة كانت على جانب الطريق عند مدخل المدينة.. قال السائق إنهم يُنزلون السّيارات لتواصل كل واحدة منها السير منفردة نحو المدينة، فتساءلت إن كان في الأمر منع، فصقّر الرجل تعبيرا عن الاستغراب قائلا: هذه الشاحنات يملكها جنرالات سابقون ولن يجرأ أحدٌ على الوقوف في وجوههم أو منعهم.. سكتّ ولم أعلّق، وتذكّرتُ كلام الشّباب قبل ساعات.

وصلتُ إلى البيت وعدتُ إلى جريدة الأمس أراجع عناوينها وموضوعاتها وفيها الكثير عن ذلك الجدل الذي دار على مدار أسبوعين حول مؤسسة الجيش والمخابرات ثم الرسالة التي بعث بها رئيس الجمهورية بمناسبة يوم الشهيد.. وازدحمت التساؤلات في رأسي: هل يعيد كلام الرئيس الأمور إلى نصابها؟ أم أننا في حاجة إلى جهود صادقة لرسم الصورة الناصعة لمؤسسة الجيش وبقية مؤسسات الدولة بعد التشويه الذي أصابها من هنا وهناك.. وقبل ذلك وبعده هل لنا أن نعرف الأسباب الحقيقية وراء هذه الأفكار والتصورات التي تنتشر بين الشباب؟ وهل نطمح في انتخابات رئاسية يكون فيها الجيش على الحياد تماما كما أكد قائد الأركان قايد صالح، على حدّ رواية السيدة لويزة حنون.. وتكون البداية لجزائر جديدة.. الأمل في الله ثم في الرجال المخلصين لهذا الوطن.

2014-02-23

المحور الثاني

الأحزاب السّياسيّة.. أين؟ وإلى أين؟

مع الشعب وللشعب وبالشعب... أول مقال في هذا المحور
ومن العنوان سوف يسرُخ خيال الذين عايشوا فترة الشعارات الكبيرة في أعماق
الماضي..

ومن تلك الشعارات شعار من الشعب إلى الشعب مثلاً.. وهي شعارات رائعة
لو وجدت التّجسيد والاستمرارية، والجديّة الكافية قبل ذلك..
والإشكال المطروح في المقال هو السياسة والمال.. أو السياسيّ وقُربُه وبُعده
من المال..

هل يعيش السياسيّ فقيراً حتّى يظلّ مع الشعب وللشعب وبالشعب..
كيف يتصرّف مع هذه الإشكالية..؟

الحقيقة الجليّة للجميع أنّ المال ليس عيباً ولا حراماً ولا جريمة...
لكنّه يتحوّل إلى حرامٍ وجريمةٍ وعيبٍ عندما يكون الهدف الأوّل والأخير
للسّياسي وهو يلجُ أبواب معترك السياسة..
في بلاد الغرب يكسبُ السياسيّ البارزُ أموالاً طائلة بعد التقاعد، أو الاعتزال،
من مجرد كتابة مذكراته، أو تقلده مناصب استشارية، أو ظهوره على القنوات
الفضائية..

أمّا بعض سياسيينا فيقدّم فشلاً وهواناً في عهده ومسؤوليته، ويتحوّل بعد
خروجه (أو إخراجه) من العمل السياسيّ إلى عَدَمٍ أو ما شابه ذلك.. منبوذ..
فهل في وسعه حينها كتابة مذكراته، أو عرض نفسه على القنوات الفضائية
والجرائد للحديث عن إنجازاته..؟
للأسف: فاقدُ الشّيء لا يعطيه..

ربّما وجّهتُ، وغيري، في فترة ما بعض السّهام الغاضبة نحو الأحزاب، وهي
تستحقّ أكثر من ذلك... لكن الأولى هو توجيه السّهام الأكثر شدّة إلى الجهات
الوصيّة التي عملت على إفساد السياسة، وتقزيم الأحزاب، وبتّ الخلافات بينها،
ورعاية الانقلابات والانشقاقات الداخليّة..

ومن ثمّ برزت تلك الصّورة القاتمة للأحزاب، ومن ثمّ هرولاً المواطنُ نحول
عوامل الزّهد في العمل السياسيّ.

مَعَ الشَّعْبِ وَلِلشَّعْبِ وَبِالشَّعْبِ

من النّاحية الانسانيّة له أخلاق طيّبة ولست أدري
اليوم إن كان لا يزال يحمل نفس الأفكار والمبادئ
اليساريّة أم أنّه تخلّى عنها بعدما أصبح ثريا... بهذه
الكلمات أجاب الكاتب والإعلاميّ الكبير الطّاهر بن
عيشة عن سؤال حول الرّوائي المعروف واسيني
الأعرج.



السؤال وجوابه كأننا ضمن مقابلة مطوّلة مع الأستاذ الطاهر أجرتها معه يومية "صوت الأحرار" قبل عدّة أشهر، حيث صال فيها وجال حول عدد من القضايا بصراحته المعروفة.

وحديث الأستاذ الطاهر بن عيشة يدفعنا إلى التساؤل عن أصحاب المبادئ والشعارات المؤيِّدة للطبقات المحرومة مهما اختلفت توجهاتهم وتعدّدت لافتاتهم..؟

هل يجب على هؤلاء وضع إشارة منع حمراء واضحة كبيرة بينهم وبين أيّ نوع من أنواع اليُسر والرّخاء والغنى وحياة الرّفاهية وتسهيلات الحياة المعاصرة..؟

هل حُكِمَ على كلّ مساند للفقراء والمساكين أن يظلّ مثلهم تماما، ولا يسمحُ لنفسه بالتقدّم خطوة واحدة على طريق الرّفاه الماديّ وكماليات عالم اليوم بشئى مغرياتها..؟

وفي هذا السّياق.. وفي البداية:

لا بدّ من التأكيد على أنّ العملَ من أجل المبادئ والأفكار والكفاح، والنّضال من أجل ما نؤمن به في حاجة إلى قدر كبير من التّضحية التي تصلُ إلى حدّ الحرمان من مزايا ومظاهر وحتىّ أساسيات حياتية في بعض الأحيان؛ لأنّ الجمعَ بين الاستمتاع الكامل بملذّات الحياة والتّجرد لفكرة أمرٌ صعبُ المنال، فالتمتّع "المطلق دون قيود" في حاجة إلى عقلٍ فارغٍ ونفسٍ خاليةٍ من كلّ همومٍ وأثقال المبادئ والأفكار، حتّى تتمكّن تلك النّفسُ وذلك العقلُ من تبديد الأوقات

وإهدار الطّاقات على الحاجات العاديّة، بينما يحتاج النّضال من أجل المبادئ إلى جهود مضنية، ومواصلة تعب النّهار بسهر اللّيل.

حديث الأستاذ الطّاهر جعلني استحضّر في ذهني كثيرا من دعوات التّغيير والشّعارات المرفوعة في الدّفاع عن الطبقات المحرومة في البلاد، وأستحضّر معها صورة أولئك الدّين يظهرون خلال الحملات الانتخابيّة بلباس شبه عاديّ وسيّارات تجعل التّصنيف الأقرب إليهم هو الطّبقة العاملة الكادحة..

وعلى هذه الشّاكلة نجد أحزابا بشخصياتها وشيبيها وشبابها ترفع شعارات الوقوف مع المظلومين والمقهورين، وتكافح باللسان والسنان للوصول إلى مجتمع العدالة والفرص المتساوية والتّوزيع الصحيح للثروة.

الصّورة السّابقة جميلة وزاهية الألوان دون أدنى شك، لكنّ المفارقة أنّ الأمور قد تتقلب عندما يصل أولئك "الشّرفاء" إلى السّلطة بشكل أو بآخر، أو تضطرّ جهات نافذة في هذه الدّولة أو تلك لإشراكهم في جوانب من الحكم ذرًا للرّماد، أو للاستفادة منهم فعلا بعد الاقتناع بضرورة مشاركتهم، أو لإيقاعهم في فخّ السّلطة بكلّ أعبائها وتناقضاتها، ومن ثمّ تتسع الهوة بينهم وبين شعاراتهم وأطروحاتهم السّياسيّة والاجتماعيّة، ولاحقًا يتمّ عزلهم عن أيّ تعاطف جماهيريّ بعد أن تصيبهم عدوى المال والجاه.

والسّؤال البريء هنا: هل يُكتب على هؤلاء الشّقاء الدّائم والتّعب

المتواصل..؟

هل يعيشوا شظفَ العيش وقساوة الحياة حتّى وهم في السّلطة أو قريبا منها..؟

والجواب: نعم ينبغي أن يعيشوا مع الشّعب وللشّعب وبالشّعب دائما وأبداً حتّى يصل كلُّ المواطنين إلى الحدّ الأدنى من الحياة الكريمة، وعندها فقط قد يتسامح هؤلاء الواصلون أو "الموصّلون" مع أنفسهم قليلا وفي إطار القانون والعرف العامّ لا أكثر ولا أقلّ.

بعض الأحزاب والجهات السّياسيّة رَفَعَتْ، وما زالت، شعاراتِ الاصطفاف والانحياز للشّعب المسكين ضدّ مافيا المال والاقتصاد، وضدّ التّجمّعات والتكتّلات التي تتحالف لتجوع المواطن دائما وحرمانه من أن يعيش حياةً تتوقّر على الحدّ الأدنى من العيش الكريم.

وحدث أن شارك بعض هذه الأحزاب في السّلطة بشكل أو بآخر، أو وصلت كوادرها إلى المناصب المحليّة والوطنية، وبدأت المسؤوليات وتشابكت العلاقات، ومن هناك وجد كثيرون أنفسهم في دوامة اللّعبة المعروفة، وصاروا أشبه بالذّي دخل الرّحام الشّديد فلا هو قادر على التّراجع ولا هو قادر على التّقدم، وهناك تبدأ مرحلة الانقطاع عن الشّعب ومشاغله وتطلّعات الطبّقات المحرومة البائسة.

والسّؤال البريء من جديد: أليس من حقّ هؤلاء أن يكون لهم مال وأعمال على غرار غيرهم..؟

والجواب: لهم ذلك لكن ليس بالقدر الذّي يضطرّهم إلى التّحالف مع الطابور الآخر، فهم أصحاب مبادئ انتخابهم الشّعب من أجلها..

انتخبهم فقط لأنهم أظهروا اهتماما صريحا بمصلحة المواطن..
انتخبهم لأنهم الأقرب إليه.. لأنهم أعلنوا أنهم أصحاب أفكار يعيشون
من أجلها ويسعون لتحقيقها..

لكن.. إذا تحوّل هؤلاء إلى حياة النّهم، وصاروا رجال أعمال
كغيرهم، وصار "البنزنس" أهمّ من المواطنين ومعاناتهم، وصاروا
يخطّطون ويقرّرون في إطار ما يتماشى مع مصالحهم ومصالح
طبقتهم؛ فماذا يفعل النّاس بهم..؟

فليس لسوّاد أعينهم وجمال بشرتهم تمّ اختيارهم والتّصويت
لصالحهم.

ولا يقتصر هذا الأمر على تلك المرحلة فقط بل يسبقها بمراحل
وأشواط، حيث يتعيّن على صاحب الفكرة أن يعيشها واقعا حيّا،
ويطبّقها على نفسه قبل غيره..

هكذا.. فأصحاب الأفكار الجادّة والدّعوات المساندة للجماهير
وحقّها في العيش الكريم؛ ينبغي أن تكون تجمّعاتهم ومقرّاتهم
وسياراتهم وولائم اجتماعاتهم أقرب إلى الشّعب وهمومه، فلا يعقل
مثلا أن يركب زعيم حزب أو رئيس جمعيّة خيريّة سيّارة بمئات
الملايين من السّننيمات، ثمّ ينزل منها ليخطب أمام الجماهير
ويدعوهم إلى مساندة في معركة العدالة الاجتماعيّة والمساواة ونصرة
الطبقات الكادحة والمظلومة...!

2008-07-24

الَهَرْمُ لَيْسَ قَدْرًا مَقْدُورًا

يحلو للبعض في بلادنا التّهَم على هذا الحزب أو ذاك
ويصفه بالعجوز الذي تجاوزه الزّمن وأن له أن يرفعَ
الرّاية البيضاء، وينسحبَ من السّاحة بهدوء ودون
ضوضاء كما يحدث مع شيخ طاعن في السنّ أقعدته
السّنون عن النّاس وكادت أن تنسيهم اسمه ورسمه،
وعندما يفارقُ الحياةَ لا يجدُ في مسيرته إلى مثواه
الأخير غير القلّة القليلة من الأقرباء وخلاصة أخلص
الأصدقاء.



والحقيقة التي عرفتتها الأمم، التي سبقتنا في ثقافة الأحزاب الحديثة، أن الشيوخوخة المبكرة أو المتأخرة لا تعرف طريقها إلى التجمعات السياسية مهما كان حجم العقبات ونوعية المشكلات التي تقابلها..

وهكذا فإن أعرق وأشهر الأحزاب في عالمنا اليوم ظهرت إلى الوجود قبل زمن طويل؛ فالحزب الديمقراطي الأمريكي تأسس في نهاية عشرينيات القرن التاسع عشر، ومنافسه الحزب الجمهوري تأسس في خمسينيات القرن ذاته، وفي بريطانيا، التي تمثل أنموذجاً ديمقراطياً عالمياً راقياً، كانت البدايات الأولى لحزب المحافظين في القرن التاسع عشر مع أن جذوره تعود إلى زمن أبعد من ذلك بكثير، بينما ظهرت المعالم الأولية لحزب العمال، المنافس الرئيسي للمحافظين، مع بداية القرن العشرين قبل أن تتضح صورته بعد ذلك في شكل حزب ديمقراطي يتبنى خيارات اشتراكية.

إن الأحزاب السياسية لا تعرف الهمم لأنها لا تقاس بأعمار المؤسسين، وهكذا تظل دائماً في مرحلة الشباب والحماسة والقوة، شريطة أن تتلقى باستمرار ما تجدد به دماءها من الأجيال الصاعدة التي تمتلك القدرة على الانسجام والتناغم مع معطيات ووسائل ومتطلبات العصر الفكرية والتنظيمية والإدارية.

وفي بلادنا، وبعد مضي فرحة الاستقلال وسنواته الأولى، ارتبطت السياسة عند نسبة كبيرة من الجزائريين بممارسات موسمية انتهائية، بل صارت في كثير من الحالات علامة مسجلة يحتكرها ذلك الصنف الذي يظهر بقوة عند توزيع الغنائم بعد أن يساهم بسخاء في حملات

الوعد المعسولة، ويتحدّث عن خصال حاتم الطائيّ دون أن يعقد مجرد النية على الاقتراب منها..!

ولأنّ النظرة إلى الأحزاب بلغت هذا الحدّ المأساويّ، فإنّ الأسبقية التي ينبغي على قياداتنا الانتباه إليها خاصّة خلال تجمّعاتنا السّياسيّة الكبيرة؛ هي إعادة الثقة إلى المواطن في السّياسة والسّياسيين وبرامجهم ووعودهم..

وغنيّ عن القول إنّ ذلك لا يتحقّق من خلال وجوه قديمة عرفتها محافل السّياسة منذ عقود، وتعودت الجماهير على لحن القول في كلامها وأدركت أنّها (أخلف من عُرُوب) كما يقول المثل العربيّ..! إنّ زئير الأسد لا يكفي وحده لقتل الفريسة، والشّعارات المجرّدة من أيّ فعل لا تؤسّس لحلّ الأزمة ولا تعيد الثقة إلى المواطن الذي صار يتطلّع بوعيه الفطريّ إلى نماذج عمليّة تزوّج بين المسؤوليّة عليه والمسؤوليّة أمامه..

نماذج تتحرّك لخدمته على أرض الواقع، لتساعده على تغيير حياته إلى الأفضل، بعد أن استوعبت تلك الحاجة الماسّة إلى ضرورة تدارك المسافة الحضاريّة التي تفصلنا عن أقراننا القريبين والبعيدين.

إنّ جزائر اليوم في حاجةٍ إلى برامج عمليّة قويّة خالية من العبارات الفضفاضة التي تعتمد الماضي والتّاريخ وحده، لأنّ التّاريخ دون حاضر مزدهر ينبض بالحياة لا يسمُن ولا يغني من جوع، وربّما كان مدعاة تهكّم وسخريّة من الصّدق المفترض قبل العدو المتربّص، كما أن الاعتزاز غير المحدود بالتّاريخ يجعلنا في وضع من يمتلك الحقيقة

المطلقة التي تؤسس لتلك النظرة اليقينية، ومنها يبدأ الغياب التام لأي شعور بالحاجة إلى الاعتراف بالخطأ ومن ثم التقييم والمراجعة والاستفادة من نقد الذات والآخرين.

إن الأحزاب القديمة، خاصة في عالمنا الثالث، توفر فرصاً لبروز طبقات مصالح، وتتكاثر بين جنباتها عناصر طفيلية شديدة الجذب والحساسية للمال وتحقيق المنافع الذاتية..

وهكذا فإن التحدي الحقيقي الذي يواجه الفاعلين ودعاة التغيير الإيجابي هو تلك العناصر والطبقات..

إن أحزابنا في حاجة إلى مصلٍ خاصٍ يمتزج فيه الذكاء بالشجاعة والصدق لتمكّن الأيدي النظيفة من تطهير الأحزاب وصقل جوهرها وصورتها من جديد، مع الأخذ بعين الاعتبار أن التصفية الكاملة لجميع جيوب النفعيين والوصوليين شبه مستحيلة، ففي أغلب أحزاب العالم تظهر تلك الثغرات التي يتسلل منها الانتهازيون.. لكن الأحزاب الناجحة تعمل دائماً على تحجيمهم ومحاصرتهم ليمثلوا تلك القلة التي تعبر عن الاستثناء، وليست الأكثرية التي تمثل القاعدة كما يحدث في بعض أحزاب دول عالمنا الثالث.

إن تجديد الدماء في أحزابنا الوطنية مسألة مصيرية خاصة في مرحلة الانعطاف التي تمر بها بلادنا هذه السنوات، لكن ذلك الأمل لا يتحقق عبر تحديث اللوائح والقوانين الداخلية وحدها، مع أهمية ذلك، ولا يتأتى إلا بعد ضمان مساحات كافية للشباب في واجهة الأحزاب ومفاصلها الحيوية، مع الحفاظ على ذوي الخبرات الطويلة ووضعهم

في مواطن المشورة والرأي، فذلك مطلوب بشدة حتى تمتزج حكمة
الشيوخ بحماسة الشباب..

لكن ذلك التجديد ليس رحلة سهلة ممتعة، ولن يجد طريقه إلى
الميدان بقرار أو خطبة حماسية مؤثرة..

سيتحقق فقط بعد ترسيخ ثقافة جديدة تدرك من خلالها القيادات
الكبيرة، سنًا وعملاً، أن تسليم الرؤية للآخرين ليس استسلامًا بقدر ما
هو شعور بالمسؤولية، وإدراك لسنة التداول والتوارث الشرعي بين
الأجيال..

فالحياة تعلمنا أن الذي يُشيد الطابق الأول لا يعني بالضرورة أنه
مؤهلٌ لتشييد ما يليه من الطوابق، ومن أبداع في مرحلة زمنية محددة
لا يُعطى وسام الإبداع المطلق في جميع المراحل.. وعندما تتجسد تلك
الثقافة سندرك أن الهرم ليس قدرًا مقدورًا على أحزابنا وكياناتنا السياسية.

2010-03-20

حُكُومَةُ ظِلِّ.. مَا الْعَيْبُ فِي ذَلِكَ..؟

خمسةً في المائة فقط يصنعون ما يحدث، وخمسة عشر في المائة يشاهدون أو يدركون أو يعرفون ما يحدث، وثمانون في المائة لا يعرفون شيئاً عما يحدث.. نظريّةٌ تذكّرتُها وأنا أقرأ أكثر من خبرٍ وتعليقٍ حول الخطوة التي بادرت إليها قيادةُ جبهة التحرير الوطني مؤخرًا وتمثّلت في تشكيل عددٍ معتبرٍ من اللجان تغطّي جميع القطاعات الوزارية القائمة.



اللجان التي شكلتها جبهة التحرير الوطني مدعومة بالخبراء في شتى المجالات، وتهدف بالدرجة الأولى على ما يبدو إلى وضع الحقائق بين أيدي القياديين للوصول إلى قرارات مناسبة..

وهي خطوة مهمة وحراك من صميم العمل السياسي الجاد، لكن البعض راح يصفها بالحكومة الموازية، أو حكومة الظل، ونظر إليها آخرون بعين الريبة والشك.

والحقيقة أن هذه الخطوة قد تلتقي مع حكومة الظل في التقليد الديمقراطي الغربي في بعض الجوانب، وتختلف معها كون حزب جبهة التحرير يمتلك حصّة لا بأس بها في الحكومة الجزائرية وإن كان الرأس، وهو الوزير الأول، ليس منه..!

لكن.. دعونا نفكر بتفاوت ونعتبر الأمر درجة متقدمة من درجات نقد الذات والتقييم ومراجعة المسيرة، ونداعى جميعا لنشر مثل هذه المفاهيم السياسية الإيجابية بين مختلف فعاليات المشهد السياسي الجزائري.

وحكومة الظل عرفتها أعرق الديمقراطيات الغربية وهي بريطانيا.. تلك الدولة التي اشتهرت طوال العقود الماضية بقاعدة الثنائية الحزبية حيث التنافس والتداول على السلطة بين حزبي المحافظين والعمال.. تلك القاعدة التي انتقضت قبل أسابيع عندما فشل حزب العمال في الحفاظ على مواقعه وانسحب ليفسح المجال أمام ائتلاف حكومي شكّله حزبا المحافظين والديمقراطيين الأحرار.. هذا الأخير الذي تألق نجمه فكسر الثنائية الحزبية.

وعند أولئك القوم تبدأ الحكومة الموازية في الظهور مع بدء الحملة الانتخابية بين الحزبين المتنافسين حيث يمكن للتأخر التعرف على رئيس الوزراء المقترض وأعضاء الحكومة في كلا الحزبين الرئيسيين اللذين يخوضان غمار معركة الوصول إلى مجلس العموم، ومن ثم تشكيل الحكومة.

وتقفز الحكومة الموازية، الظلّ، إلى الواجهة السياسية مباشرة بعد تشكيل الحزب الفائز لحكومته ليقوم الخاسر في المعارضة، وليصبح رئيسه رئيس وزراء حكومة الظلّ، وليجلس مقابل رئيس الوزراء الفعلي في لقاءات الحكومة مع مجلس العموم.. ويبدأ (الرئيس الظلّ) بتوجيه الأسئلة.

وحكومة الظلّ، التي تعرفها عددٌ من الدول الديمقراطية، لا تكتفي بتسجيل ثغرات العمل الحكومي فقط، بل تراقب الحكومة القائمة عبر أسئلة واستجابات دائمة في جلسات البرلمان تجعل كل وزير في حالة حذر دائم ومتابعة مستمرة لأداء أفراد طاقمه، لأن الخطأ لا يُدفن تحت الأرض بسهولة كما يحدث في كثير من الديمقراطيات الزائفة..!

وعودة إلى مبادرة حزب جبهة التحرير الوطني، وإلى الشكوك أو المخاوف التي تدور حولها لنتساءل عن العيب في أن يشكل حزب كبير مثل هذه اللجان التي تشبه حكومة الظلّ، وتساهم في تقديم البديل والنصيحة والمساءلة والمحاسبة في المكان والزمان المناسب..؟

إنّ المطلوب من مختلف الفعاليات السياسية أن ترقى إلى مستويات عالية تؤهلها للترحيب بأي إنجاز يحرك المياه الراكدّة في المشهد

السِّيَاسِيّ، لأنَّ أيَّ نجاحٍ أو تقدّم لهذا الحزب أو ذاك هو نجاحٌ للجميع..
وحتى في حالة التَّنَافَس الشَّدِيد فإنَّ العقلاء دأبوا على تفضيل الخصم
المنظَّم لأنَّه يُعطي لغيره دوافعَ العمل والحركة والنَّشاط والتَّصرف بكفاءة
مماثلة ودرجة مناسبة من التَّخطيط والتَّنفيذ.

إنَّ في أرشيف السَّاحة السِّيَاسِيَّة للجبهة وغيرها تجارب مقاربة، بل
إنَّ جميع الأحزاب الكبيرة تمتلك لجانًا اقتصاديَّة وسياسيَّة وشبابيَّة
ورياضيَّة وغيرها، ويُفترض أنَّها أشبه بحكومات الظلِّ، لأنَّ من بين
مهامها رصد التَّقائص وتقديم المبادرات والحلول من وجهة نظرها
الحزبيَّة، ومن هناك تدفُّع الكفاءات الشَّابة إلى التَّطلُّع والاستعداد
للوصول إلى مواقع المسؤوليَّة وصناعة القرار.

إنَّ انتشارَ فكرة اللِّجان، ومعها معاهد الدِّراسات المتخصَّصة، كفيلة
بإخراجنا من دركات العفويَّة السِّيَاسِيَّة والقرارات الارتجاليَّة، كما أنَّها
تمثِّل الدَّافع القويَّ للسَّاحة السِّيَاسِيَّة نحو التَّنَافَس الحقيقيِّ القائم على
برامج وخيارات متعدِّدة دون أيِّ حدود أو خطوط حمراء، سوى تلك
التي وضعها الدِّستور والقانون وأقرتها الثَّوابت الوطنيَّة.

ليس عيبًا ولا حرامًا ولا ممنوعًا أن يعلن أيُّ حزبٍ عن رغبته في
الوصول إلى السَّلطة، أو البقاء فيها بالطُّرق الديمقراطيَّة، والمباركة
الشَّعبِيَّة عبر صناديق الاقتراع..

والعيبُ فقط هو البقاء فيها، أو الوصول إليها، بقوة السَّلاح أو
التَّزوير وخداع الجماهير..

والأكثر من ذلك.. ما مبرّر وجود الأحزاب إذا لم تعلن عن
طموحاتها في الوصول إلى السّلطة، بل إنّ الأحزاب التي تتردّد في
الإعلان عن ذلك ينبغي أن تخجل من نفسها وتبادر إلى تصحيح
الخلل الفكريّ، أو تحلّ نفسها بنفسها وتتحوّل إلى جمعيات نفع عامّ
لحماية البيئة والسّلام وحقوق الإنسان، أو حتّى نوادٍ رياضيّة خاصّة،
ولمّا لا.. وبلادنا تدخل مرحلة الاحترافيّة في هذا المجال.

وعودة إلى تلك النظريّة لنتحدّث عن نسبة (الثمانين في المائة)
وضرورة تقليصها بالوعي النخبويّ والشعبيّ..

ومن وسائل ذلك تشكيل لجان المتابعة والمراقبة والمساءلة..
لا بدّ من تقليص تلك النسبة لأنّ الأحزاب الغوغائيّة تستثمر دائماً
هناك، في الثمانين في المائة التي لا تصنع الحدث ولا تعرف كيف
حدث..

إنّ الوعي وحده هو الدّواء النّاجع الذي يفتكّ بقلاع الفساد
والإجرام والبيروقراطيّة، ويضع البلاد على طريق النّمّو الحقيقيّ.

2010-06-19

قُوَّةُ الحِزْبِ.. قُوَّةُ الجَزَائِرِ

حزبُ جبهة التَّحريرِ الوطنيِّ ركيزةٌ أساسيةٌ في
التَّحالفِ الرئاسيِّ، وبالتالي فاستقراره وقوَّته من
مصلحة البلاد.. كلامٌ نقلته الصَّحافة عن وزير
الدَّاخلية دحَّو ولد قابلية تعليقًا على التَّجاذبات الأخيرة
داخل الحزب الأكبر في البلاد.. تلك التَّجاذبات التي
شغلت الجميعَ تقريبًا وضخَّت بعضَ الدَّماء في عروق
الحراك السِّياسيِّ العام بعد فترة من الاسترخاء ظنَّ
البعض أنَّها لن تنتهي إلا مع الانطلاق الرِّسميِّ
للموعد الانتخابيِّ القادم.



الاستقرارُ الإيجابيُّ الصَّحِيَّ للحزبِ الأكبرِ من مصلحةِ البلادِ خاصَّةً في هذه الظروفِ الدَّاخِلِيَّةِ والإقليمِيَّةِ والدَّولِيَّةِ وما تحمُّله من تحدِّياتٍ.. إنَّها حقيقةٌ ينبغي التَّسليمُ بها حتَّى لأولئك الذين يعتبرون أنفسهم منافسين دائمين، إن لم نُقلْ خصومًا تقليديين للحزبِ وأفكاره وأهدافه وماضيه وحاضره ومستقبله.

وتلك الحقيقةُ تقومُ على مقدِّمةٍ بسيطةٍ المبني، وحتَّى المعنى، وهي أنَّ بين يدي الحزبِ الأكبرِ كثيرًا من خيوطِ العمليَّةِ السِّياسِيَّةِ ومداخلها ومخارجها بحكم انتشاره الواسعِ وامتداده الرِّاسِيَّ والأفقيَّ، وحيازته على أغلبيَّةِ المنتخَبين محليًا ووطنِيًا.

وتلك المقدِّمةُ البسيطةُ تقوِّدُ بسلاسةٍ إلى ما بعدها، وهو أنَّ أيَّ مشكلةٍ حقيقيَّةٍ يتعرَّضُ لها الحزبُ الكبيرُ ستؤدِّي حتمًا إلى أنواعٍ من المشكلات، تبدأ من أعلى الهرمِ في البرلمانِ والحكومة، وقد لا تنتهي بالبلدية..

مشكلاتٌ تؤثِّرُ أكثرَ على حياةِ المواطنِ وتزيد من صعوبتها، خاصَّةً بالنسبةِ للطبقاتِ الفقيرةِ التي تنتظرُ السَّكنَ، وتحلمُ بتراجعِ الأسعارِ، وتنامُ وتستيقظُ على أملِ ظهورِ فرصٍ أو خططٍ واضحةِ المعالمِ تدفعُ بها نحو التَّموِّعِ في إطارِ الطبقةِ المتوسِّطةِ.

نعم.. إنَّ الحديثَ يتواترُ بين المواطنينِ حولِ مشاكلٍ متعدِّدةٍ، رغمِ الإنجازاتِ والمشاريعِ الكثيرةِ، والتلفزيونُ في نشرتهِ الرِّسمِيَّةِ يسلطُ الضوءَ على بعضِ تلكِ المشاكلِ، لكنَّ التَّفكيرَ السُّوداويَّ الذي مفاده أنَّ المواطنَ لن يخسرَ أكثرَ مما خسره مردود على أصحابه لأنَّ أيَّ هزَّةٍ حقيقيَّةٍ

داخل بيت الحزب الأقوى في البلاد، كما يتمنى بعض الخصوم، لن تؤدي إلا إلى استمرار الأزمات، بل وتوالدها من جديد وتشعبها وتبخر الأمل في حلها عدداً آخر من السنين.

إن ما نرجوه للحزب العتيق هو تحقق مقولة (الأزمة تلد الهمة)، ونتمنى أن يكون التجسيد العملي لذلك المعنى قد طغى على أشغال ومداومات الدورة الثالثة للجنة المركزية للحزب التي شهدتها العاصمة مؤخراً.. تجسيداً عبر التماسك والخروج بقرارات واضحة يلتزم بها القياديون قبل المناضلين العاديين، وتؤدي مع مرور الوقت إلى تفرق الضباب والعودة من هناك إلى العمل النظيف السليم من خلال فريق يؤمن بالانضباط، ويدندن دائماً حول مصلحة الوطن، وليس عبر الخطب وحدها، لكن عبر العمل السياسي العفيف النظيف الشريف.

إن كلام الأمين العام للحزب عبد العزيز بلخادم في اجتماع اللجنة المركزية الأخير كان واضحاً وصريحاً عندما أعلن أن القانون الأساسي سيُطبق بصرامة على الجميع.. على القيادي قبل المناضل البسيط.. وأن من أخطأ سيجد نفسه مضطراً لدفع الحساب..

كما أن توصية اللجنة المركزية باستقطاب الكفاءات والقدرات، خاصة عنصرَي الشباب والمرأة، جديرة بالتثمين لأن عنصر الشباب كفيل بدفن الكثير من الخلافات المزمنة والحساسيات المعمرة، تعمير أصحابها في الحزب.. خلافات وحساسيات عاشت طويلاً وكان لبعضها جذور ضاربة في القدم، يخفت صوتها أحياناً لكنه يرتفع في

هذه المناسبة أو في ذلك الموعد الانتخابي، ومن هناك يضرب مصلحة العمل السياسيّ النّظيف في العمق.

إنّ ما كان يميّز حزب جبهة التّحرير الوطنيّ في عقود سابقة هو ذلك الانضباط حين تصلُ التّعليماتُ إلى أبعاد خلية حزبيّة في حيّ أو قرية نائيّة، وفي المقابل لا يصلُ أحدٌ إلى قوائم التّرشيح إلّا عبر مراحل النّضال الأساسيّة..

وبعد تغيّس الأمراض السياسيّة صارَ الوصولُ إلى رأس القائمة، في بعض المناطق، لا يحتاجُ إلى كثير عناء أو اهتمام وقرب من الجماهير والقاعدة النّضاليّة، بقدر ما يحتاج إلى (نقاط قوّة) أخرى لا تتوفّر عند المناضل الذي ألزَمَ نفسه بالطّريق السّويّ وحدها دون سواها..!

وهكذا تصبح الصّورة هي العودة إلى الانضباط المطعّم بالمرونة، ونشر ثقافة الحريّة المرتبطة بالوعي والمسؤولية لأنّها سبيل النّقد، وما عداها هي الفوضى والفساد وتخطّي رقاب الآخرين للوصول إلى الصّفوف الأولى دون وجه حقّ.

إنّ الانقسامات والانشقاقات لا تسرُّ المثقفَ والسياسيّ الواعي، ومنّ يفرحُ لانقسام هذا الحزب أو ذاك أو حدوث مشاكل في داخله وأهمّ، لأنّ الأوبئة والأمراض إذا انتشرت ستدخلُ بيوت الجميع دون استئذان، وما ينبغي التّأكيد عليه أنّ تقدّم أيّ حزب وتماسكه وسيره الحسن على طريق العمل النّظيف هو مكسب للجميع، والأحزاب تتعاونُ وتستفيدُ من بعضها حتّى لو تنافست وتخاصمت في البرامج والأهداف التكتيكيّة، لأنّ الأهداف الاستراتيجيةّ واحدة للجميع، أو هذا ما ينبغي

أن نؤسس له، وهي الوصول ضمن رؤية موحدة إلى رفاهية وتقدم البلاد.. رؤيةً يشارك الجميع في صياغتها لأنها (لن تطعم من جوع ولن تؤمن من خوف) عندما تكون مجرد رغبة أو حلم شخصي يزول بزوال صاحبه وتفرق الحاشية والأعوان كل إلى حال سبيله.

إنّ الانتخابات التشريعية والبلدية تقترب يوماً بعد يوم، وعلى الأحزاب، خاصة الكبيرة والعريقة، مسؤولية عظيمة تتمثل في إعادة الثقة إلى المواطن وتحسيسه بأهمية الانتخابات ودورها في التغيير ومسيرة التنمية..

ولا يتحقق ذلك إلا بقوائم تضم إطارات شبابية نظيفة، وعبر حملات انتخابية صادقة مقنعة، تدعمها مجالس خبرة يشغل مقاعدها أولئك الذين فسحوا المجال للشباب عن قناعة وإيمان.. وعندما تمتزج حماسة الشباب بخبرة الشيوخ سوف يظفر الوطن بالوصفة السحرية، وتبدأ أولى بشائر العمل الديمقراطي الحقيقي الذي يؤدي حتماً إلى الحكم الراشد الذي ينشده الجميع.

2011-01-08

فَاقِدُ الشَّيْءِ لَا يُعْطِيهِ

الأرسيدي هو تَلَقُّظُ الاختصار اللاتيني الذي يُعرف به حزب التَّجْمَع من أجل الثَّقافة والديمقراطية في الجزائر، وهو الاختصار ذاته للتَّجْمَع الدِّستوري الديمقراطي الذي كان على رأس النِّظام في تونس وتلاحقه هذه الأيام صرخات واحتجاجات وشتائم وحتى لعنات الجماهير التُّونسيَّة النَّائرة على حكم الرئيس المخلوع زين العابدين بن علي وحاشيته.



الشَّعبُ الجزائريُّ بأحزابه وفعاليَّاته كان قريباً من أحداث الثَّورة التَّونسيَّة، وكيف لا يكون كذلك وهو الجار الَّذي يربطه كلُّ شيء تقريباً بالشَّعب التَّونسيِّ، بل أكثر من ذلك حيث كان الشَّعبان شعباً واحداً في فترات تاريخيَّة سابقة..

وعلى هذا الأساس يمكننا الجزمُ بسعادة الشَّعب الجزائريِّ بكامل فئاته وأطيافه، وهو يرى شقيقه يتحرَّر من الدِّكتاتوريَّة التي جثمت على صدره زمناً ليس بالقصير.. نعم كلَّ الشَّعب الجزائريِّ لكن مع استثناءٍ قد يكون فريداً!..

ذلك الاستثناء هو حزب الأرسيدي الجزائريِّ، التَّجمع من أجل النِّقافة والديمقراطيَّة، الَّذي يرأسه الدِّكتور سعيد سعدي منذ ظهر إلى الوجود علنياً بعد ولوج بلادنا إلى فضاء التعددية السياسيَّة في أعقاب أحداث أكتوبر 1988.

والسَّببُ هو ذلك التَّمائل في الاختصار حيث الأرسيدي الَّذي كان يحكمُ تونس بقبضة حديديَّة، والأرسيدي المعارض في الجزائر، وربِّما شعرَ هذا الأخيرُ بأنَّ اسمه قد مُسحت به الأرض في تونس بعد مغادرة الدِّكتاتور، وجرأة الجماهير على كلِّ الممنوعات والمحظورات السياسيَّة السابقة.

وهكذا.. ربِّما تكون الضَّرباتُ المعنويَّة والماديَّة التي أصابت الأرسيدي التَّونسي، وزعيمه الدِّكتاتور السَّابق، قد دفعت الدِّكتورَ زعيم أرسيدي الجزائر إلى الإسراع بالظَّهور أمام العالم والمناداة بالديمقراطيَّة وتحديَّ أوامر منع المسيرات في الجزائر العاصمة، لعلَّ وعسى أن

يتمكّن من إنقاذ بعض اسم حزبه الذي يتجرّع كؤوس الهوان في تونس العهد الجديد.

الأرسيدي التونسي يعاني جراحات في جميع أنحاء جسده، فاعتقد الأرسيدي الجزائري أنّ في استطاعته قلب الصورة بالكامل أمام الجميع عندما يطلق شرارة ثورة تخيلها على شاكلة ثورة الياسمين التونسية دون أن يلحظ الفروق المائة الواضحة بين المشهدين السياسيين والحكومتين هنا وهناك.

فقد حاول الدكتور سعدي الخروج بمسيرة كبيرة تتحدّث عنها فضائيات العالم أياماً وليالي عدا، ويظهر أمام الشعب الجزائري على صورة البطل المخلص الذي يفقه الديمقراطية دون سواه، ويسعى إليها أكثر من غيره، ويحرصُ هو فقط على مصلحة البلاد..!

حاول الدكتور.. لكنّ المحاولة وُلدت ميّنة لأنّ الصورة الصّحيحة كانت قد رسخت في أذهان أبناء الشعب الجزائري، فتناقضات الرجل لم تتكرّر مرّة واحدة أو اثنتين أو ثلاث، بل ظلّت طابعه المميّز، حيث ينادي بالديمقراطية ويرفع راياتها، ويناقضها في تحالفاته وتصرفاته وإدارته لحزبه..؟

لقد ظلّ الدكتور سعدي متشبّثاً بالكرسيّ أكثر من عشرين سنة، وله أسباب ومبررات على ما يبدو تجعله متمسكاً برئاسة الحزب، والمفارقة أنّها قد تكونُ نسخةً طبق الأصل من الأسباب التي يتدرّع بها الجالسون على كراسي حكم الدّول سنوات طويلة..؟

إنّها ميكروبات نفسية قد تكون صغيرة أو متوسطة لكنّها سرعان ما تتطوّر وتزيدُ حجماً وطولاً وعرضاً عند الجلوس على كرسيّ الحكم

والارتباط به، وما الذي يمنع أن يحدث هذا الأمر مع الدكتور إذا وصل إلى قمة الهرم يوماً ما..؟

إنّ فاقد الشيء لا يعطيه، كما أنّ كلّ إناءٍ بما فيه يرشح..

وهكذا.. لو كانت الديمقراطية حاضرةً في عقلٍ ونفسِ الدكتور لظهرت على تصرفاته وإدارته لحزبه وطبيعة تحالفاته ومواقفه من الأغلبية من جهة، ومن ثوابت الشعب الجزائري من جهة ثانية..! إنّ الديمقراطية يا دكتور هي آليات لإدارة الخلاف، وليست مبادئ إقصائية استتصاليّة نفرضها على الآخرين بعد أن نعيب عليهم تمسّكهم بمبادئهم وثوابتهم وتاريخهم ورموزهم.

إنّ عشرين سنة كافية للدكتور سعدي كي يحقّق جميع أهدافه، أو بعضها على الأقلّ، ومن هناك يسلّم الأمانة لغيره، وإن كان العكس وهو الفشل، فترك المكان أولى في هذه الحالة، وإفساح المجال للغير هو عين الحكمة، والحزب ومنطقة نفوذه يعجان بالطاقات الشابة الخالية من عُدّ الماضي ووساوس المستقبل، وهو أمر طبيعيّ بالنسبة للأحزاب التي تمارس الديمقراطية على أرض الواقع، فنراها تجدد نفسها من حين إلى آخر، فتجدد الدماء الجديدة طريقها إلى الكيان المنهك بعد مرحلة سياسية مرهقة أو فضيحة مدوية أو هزيمة انتخابية.

لقد فهم الرئيس زين العابدين بن علي الشعب التونسي متأخراً، فظلّ ساعات طويلة في الجوّ متوسّلاً هنا وهناك لأجل شبر أرض يركنُ إليه، والأمر كذلك بالنسبة للدكتور سعدي، فعشرون سنة كانت كافيةً وزيادة كي يفهم الشعب الجزائري طروحاتٍ ونظريات الرجل في

الديمقراطية والسياسة والاجتماع، ويدرك أنها دخان بلا نار في أحسن حالاتها.

بعد ثورة تونس لاحت في الأفق مرحلة عربية جديدة، كما يرى البعض، لا مكان فيها لذلك التحالف المقيت بين الاستبداد والولاء للغرب ورجال المال والأعمال المشبوهين.

مرحلة ستلعب فيها الشعوب إلى جانب الإعلام الدور الأبرز، ولن يكون في وسع أي نظام أو حكومة إخفاء الحقائق أو قمع المواطنين وإسكاتهم دون علم أحد.. وهكذا سيطل التغيير الجميع، لكن السؤال الوجيه في هذه المرحلة يدور حول إن كانت وسائل التغيير واحدة في جميع الدول العربية، وإن كان نسخ تجربة البوعزيزي في تونس متاح في دول عربية أخرى.

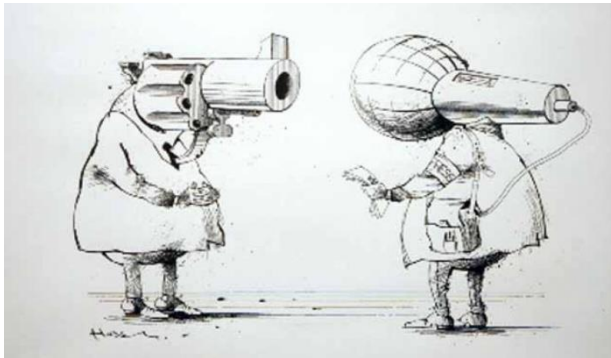
إن الشعب الجزائري يتطلع إلى التغيير في حياته ومعاشه وأسعار أقاته، وعلى من يعنيه الأمر المسارعة إلى قطع الطريق على المغامرين والانتهازيين الذين تعودوا على إخراج الجماهير إلى الشوارع ثم استغلالها أبشع استغلال لمصالح وأغراض سياسية محدودة للغاية..

إن بلادنا تقف على عدد من البراكين الخامدة، واللعب بالنار في هذا الوقت ليس في مصلحة أحد على الإطلاق.

2011-01-29

جِيلٌ جَدِيدٌ أَيُّهَا السَّادَةُ

كَانَ يَشْرَحُ مَجْمُوعَةً مِنَ الرَّسُومِ وَالْكَلِمَاتِ عَلَى وَرْقَةٍ
أَمَامَهُ، يَتَحَدَّثُ بِحِمَاسٍ كَبِيرٍ وَثِقَةٍ عَالِيَةٍ، يَجْتَهِدُ أَنْ
تَصِلَ إِلَيَّ فِكْرَةُ الْقِصَّةِ وَاضِحَةً عَبْرَ عَدَدٍ مِنْ أِبْطَالِهَا..
أَحْدُهُمْ يَعْمَلُ لِصَالِحِ آخَرٍ، وَهَذَا الْآخَرُ عَلَى عِلَاقَةٍ
بِآخَرِينَ قَالَ إِنَّهُمْ أَعْضَاءُ فِي الْبَرْلَمَانِ، وَيَدْخُلُ الْخَطُّ
شَابًّا يَمْتَلُّ مُؤَسَّسَةً صَحْفِيَّةً، ثُمَّ يَنْتَقِلُ الْحَدِيثُ إِلَى
عِصَابَةِ مَخْذَرَاتٍ تَعْمَلُ لِحَسَابِ رَجُلٍ مَعْرُوفٍ فِي
الْمَجْتَمَعِ، ثُمَّ تَسِيرُ الْأَحْدَاثُ نَحْوَ انْتِصَارِ سُلْطَانِ الْحَقِّ
وَالْقَانُونِ.



أطلعني محدّثي عن بعض النصوص التي كتبها فلاحظتُ حضوراً
للهجة إخواننا السوريين، ووجدتُ في أحداث القصة اقتباساً واضحاً
من المسلسلات التركية المدبلجة التي راجت مؤخراً في البلاد العربيّة،
ولم تكن الجزائر استثناء في هذا الأمر.

اعترف لي محدّثي أنّه اقتبس القصة من مسلسل تركي، لكنّه
استدرك بسرعة، وقال إنّ سيبدّل الأسماء والأماكن التركية بأخرى
جزائرية.

اندهشتُ من المستوى الذي وصل إليه الحديث فقلت له: أخبرني
عن هدفك..؟

قال: إظهار الحرية.. قلت: أيّ حرية..؟
قال في بلداننا جواسيس يعيثون فساداً في الأرض ويعملون لصالح
الأوروبيين..!

وبعد... الحديث السابق لم يكن مع طالب جامعيّ أو حتّى
ثانويّ..؟؟

إنّه مع تلميذ في الصفّ الرابع المتوسط ظلّ يحدثني، كلّما قابلني
ولعدّة أيّام، عن قصة يقوم بإعدادها مع أصدقاء له ويسعون إلى
تجسيدها عبر الشاشة..

حديثه يكشف عن شخصيّة متمزجة فيها أفكار الشاب الناضج ببراءة
الطفل أو الشبل الذي يتخبّط بين عدّة أهداف وتحديات وعقبات..

كان يسردُ عليّ بعض ملامح القصة، ثمّ يقفز دون مقدّمات إلى
الحديث عن مشكلة شراء كاميرا أو البحث عن مكان مناسب للتصوير

أو الممثلين المقترحين من زملائه التلاميذ، وكيف يخشى بعضهم رفض أسرته الاشتراك في التمثيل مخافة التأثير على المسار الدراسي. بعد إلحاحٍ مُتكرّرٍ فرّغتُ للطفْلِ الشابِّ بعض الوقت واستمعتُ إليه بشكل مفصّل، ثم شرحتُ له بعض ما أعرفُ عن أسلوب إعداد السيناريو والحوار، وكتبتُ له نموذجًا مبسّطًا حول مشهد من قصّته، ووعدته بالسّعي لتعريفه بكاتب سيناريو أو تزويده بنموذج يستعين به..

وحفّاظًا على مشاعره المتدفّقة قدّرتُ حماسه ورغبته في إخراج الفيلم، لكنني أخذتُ عليه عهدًا بأن تكون الأولويّة خلال هذه الفترة للدراسة.

ذلك الشّبل هو ابن جارنا في قريتي الأصليّة، والمفارقةُ أنّه لم يحدّثني أو يسألني عن أحداث تونس ومصر، وهكذا يمكنُ الجزم بأنّ حديثه عن الحرّيّة ليس وليدَ التّطورات الأخيرة في العالم العربيّ، كما أنّ علاقته بالإنترنت أقلّ من عاديّة لأنّه لم يدخل الشّبكَة إلا مرّات معدودة محدودة عندما كان يُعدُّ بحثًا مدرسيًا!..

حديثُ هذا الشّبل هو قطرةٌ من بحر، كما أتصوّر على الأقلّ، من حجم الأفكار والتّصورات والمفاهيم التي تزخرُ بها عقولُ الشّباب العربيّ في عصر المعلوماتيّة والفضاءات المفتوحة والانترنت وعالم الفيس بوك وتويتر وغيرهما..

إنّها ثورةٌ أفكارٍ غزت العقولَ قبل أن نشاهدها عبر الفضائيات في ميادين وساحات هذا البلد العربيّ أو ذلك.. إنّها أجيالٌ جديدةٌ تشكّلت على وَقَعِ الإعلام المتسارع بكلِّ وسائله وتجليّاته وإبداعاته..

نعم إنها أجيالٌ تشكّلت، وكثيرٌ من أصحاب القرار والنخب القريبة منهم في غفلة عن ذلك، للأسف الشديد.

لقد عبّر عن هذه المفارقة شابٌ مصريّ، ناشط في مجال التدوين، عندما استضافته قناة إخبارية عربية كانت تحاول إمساك العصا من الوسط خلال أيام المظاهرات والاعتصامات المصرية..

لقد حاول مقدّم البرنامج استدراج ذلك الشاب الرّمز إلى تصريحٍ يثمنُ فيه بعض الخطوات التي أعلن عنها الرئيس حسني مبارك في الليلة التي سبقت رحيله عن الحكم.. لكنّ الشاب امتنع وختم كلامه بقوله: إنّه جيلٌ جديدٌ لا يستطيع الجالسون على الكراسي فهمه..!!

قال كلمته، ووقف معلناً نهاية اللقاء، فلم يكن لديه كلام آخر.

نعم إنّه جيلٌ جديدٌ بمواصفاتٍ وأفكارٍ حديثة تشكّلت في سنوات معدودة، فهل تتمكّن الأجيالُ السابقة من فهمه بسهولة ويسر..؟؟

شبابٌ غصّ يتحدّث بلغّةٍ سياسيّةٍ واضحة حول الديمقراطية الحقيقية والحكم الرشيد ومحاربة الفساد.. يتحدّث دون مصطلحات مضلّلة أو عبارات منقّخة بلا مضمون حقيقيّ..

يتحدّث دون مخارج حروف ووقفات مدروسة ومقصودة يتمّ عرضها بعد عمليّات إعداد طويلة للخطاب، حتّى يأتي بالشكل الذي يرضي قسم هندسة الدعاية والتّضليل، فتجزم بأنّه يؤدّي غرض التّسويق من جديد لمنتجات سياسيّة منتهية الصّلاحية وفاقدة للشرعيّة..!

أين الشّباب الجزائريّ مما يجري في العالم العربيّ..؟

المؤكّد أنّه ليس بعيدا عن ذلك الوعي السياسي الذي تابَعناه وتابَعه يوميا، والمؤكّد أيضا أنّ صورته لن تظلّ مقترنة فقط بالأعراس الكروية التي عايشناها طوال العام الماضي بخيرها وشرّها.

إنّ أهل السياسة في بلادنا يُدِنُون دائما حول المجتمع الشابّ، وتلك النسبة التي تتجاوز السبعين في المائة.. فأين نحن منها في هذا العالم المتغيّر وهذا المحيط الذي تكسوه حُلّ جديدة تعلن القطيعة مع الماضي، خاصّة في شقّه المتعلّق بالعلاقة بين الأجيال.

لنبدأ الحديث بالأحزاب السياسيّة في بلادنا لأنّها تمثّل الوجه الحقيقي للسياسة، أو هكذا ينبغي لها أن تكون.. ودعونا نوجّه سهامنا بشكل مباشر إلى تلك الأحزاب التي تمارس الدكتاتورية في (أرقى) صورها عبر تكريس الرئاسة الأبديّة من خلال الصّمود (الرائع) على الكرسيّ لمُدّة تتجاوز العشرين عاما وأكثر...!

إنّ الأحزاب والجمعيات التي تتأخّر عن اللحاق بركب الشباب سوف تجرفها رياح التّغيير، وقد تجد نفسها خارج اللعبة تماما.. لأنّ التّغيير سنّة كونية وهو قادم لا محالة، ولن يكون بالضرورة على الطّريقة التونسيّة أو المصريّة، فالحالة الجزائريّة لها خصوصياتها كما أجمع، تقريبا، أكثر كتابنا وصحفيّنا وسياسيّنا ومفكرينا خلال أحاديثهم إلى الفضائيات العربيّة في الآونة الأخيرة.

2011-02-19

مَبْرُوك... الْفُوز

تقاطروا من مختلف أنحاء الجزائر، السّاحل والصّحراء
والوسط والشرق والغرب.. اجتمعوا في مقهى شعبيّ
بمنطقة باب الوادي، ومن هناك قرّروا خوض معركة
الوطن.. خطّطوا وتعاهدوا.. تناولوا طعامهم في دكّان
بسيط متواضع يقدّم وجبة لا تزيد عن كأس من اللّبن
وقرص من خبز الشّعير أو المطلوع.. وعندما حلّ
اللّيلُ تفرّقوا في المراقد المجاورة لساحة بور سعيد
وباب عزّون.. غرفٌ عاديّة في أسعارها
وتجهيزاتها..؟؟



وَاصَلُوا رحلة الإعداد والتدريب بإمكانيات بسيطة، ومدرب من إحدى مناطق الجزائر العميقة..؟

وحان الموعد الحاسم لقطع تذكرة الذهاب إلى موندリアル البرازيل ففازوا بجدارة شهد لها العدو قبل الصديق..؟؟

إنها صورة، أو مجموعة صور، تخيلتها للفريق الوطني وأنا أقرأ عموداً صحفياً لزميل في جريدة يومية بالغ من خلاله في التقليل من شأن السياسة والسياسيين، ورفع في المقابل من شأن الكرة والكرويين..!!

يتحدث الزميل عما يسميها ظاهرة خروج الجزائريين إلى الشوارع والتفافهم حول فريق كرة القدم، حباً في الجزائر ورغبة في رفع رايتهما عالية في الداخل والخارج، ثم يلتفت إلى السياسيين ويوجههم إلى ضرورة الاستقالة بالجملة والتجزئة..!!

ثم يواصل الحديث: ليس سرّاً من أسرار الدولة أن كل أطراف الطبقة السياسية فشلت فيما نجحت فيه "جلدة منفوخة".. استقبلوا أيها السياسيون لأنكم فشلتم في مهمة التجنيد والتعبئة والإقناع خلال الانتخابات وغيرها.. فمن أنتم أيها العاجزون عن إخراج الجزائريين إلى الشارع للاحتفال بنشوة الانتصار وليس للاحتجاج..؟؟

لا بأس.. دعونا نصنّف كلام الزميل الصحفي في خانة الجرأة والصراحة والمكاشفة، وفي المقابل دعونا أيضاً نعود إلى الصورة السابقة المتخيلة للفريق الوطني والطريقة البسيطة العادية التي نقش بها اسم الجزائر للمرة الرابعة في سجلات كأس العالم.

ومن البديهيّ بكلّ تأكيد أنّ الصّورة ساذجة، ومضحكة ربّما، فحتّى فرق الأحياء والبلديات النائيّة صارت لها ميزانيّاتها وتجهيزاتها، وطبيعيّ أن يحصلَ فريقنا الوطنيّ على الحدّ المعقول من التّسهيلات والخدمات والعلاوات والمحفّزات والإقامة في شقق أو فنادق مناسبة، والاستمتاع بتغذية عالية المستوى توازي المجهودَ العضليّ المبذولَ وتراعي أحدث المقاييس الصحيّة.

وفوق ما سبق.. من المعروف لدى العامّ والخاصّ أنّ الفريق الوطنيّ ينالُ منذ فترة رعاية خاصّة وتنفقُ عليه أموالٌ طائلة، والمكافآت الكبيرة المعنوية قبل الفوز وبعده نُشرت على صفحات الجرائد وخرجت عن نطاق الأسرار، والمدرّب الوافد يتقاضى راتبًا عاليًا ويتمتّع بامتيازات غير عادية، وإلاّ لمّا رفض، أو أجّل على الأقل، عرضًا قطريًا يصل إلى ثلاثمائة ألف دولار في الشهر..!؟

ومن المعروف أيضًا أنّ حملات الحشد والتأييد في وسائل الإعلام الرّسميّة ومعها المستقلّة، إن صحّ هذا التّصنيف في أوضاعنا الحاليّة، قد بلغت حدودًا قصوى، وظلّت هذه الوسائل تصبّ في آذان وعقول المواطنين كلماتٍ وجمالاً مفادها أنّ كلّ مشاكل الجزائر وتحدياتها وطموحاتها قد انصهرت في معركة التّاهل لكأس العالم، وليكن بعد ذلك ما يكون.. والمهمّ أن ترتفع الرّاية الوطنيّة هناك في العاصمة البرازيلية "ريو دي جانيرو" ويظهر "الخضر" على الشاشات العربيّة والعالميّة..!!

وبعد إعلان الفوز تحرّكت وسائل الإعلام على قلب رجل واحد وقالت إنّ الجميع في الشوارع..

وتساهل رجالُ الأمن فيما كانت قوانينُ المرور تُداسُ أمام أعينهم بسيارات وشاحنات وحافلات تحملُ العلمَ الوطنيَّ، وينادي الشّباب من فوقها وداخلها: وَنْ تُو ثْري فِيغا لِّلجْري.

وغضَّ المدراءُ الطَّرْفَ عن التّلاميذ وهم يغادرون مقاعدَ الدّراسة في اليوم التّالي للفوز، وتأخَّرَ الموظّفون عن أعمالهم، ثمّ جلسوا أمام الإدارات يتحدّثون عن الفوز التّاريخيّ للفريق الوطنيّ، ولم يفكّر أحدٌ في مساءلتهم.. وحدث الكثير والكثير في تلك اللّيلة واليوم الذي تلاها..؟؟

فَمَنْ هَيأَ كلّ هذه التّسهيلات لفوز الفريق الوطنيّ.. من الألف إلى الياء.. ومن يخطّطُ الآن لاستمرار الشّغف والجنون الشّعبيّ بكلّ صغيرة وكبيرة حول الفريق الوطني إلى أن ينسحب من المونديال بعد تحقيق الأداء المتوقّع له، وهو بلوغ الدّور الثّاني..؟؟

إنّها السّياسة أيّها الرّميل، وجميع الرّملاء الذين بالغوا في ذمّ السّياسة والسّياسيين.. إنّه التّقلّ الحكوميّ، سواء كان مبرّرا أو تشوبه بعض الشّبّهات..؟؟ إنّه الوزير الأوّل الذي تابع ووعَدَ ودَعَمَ، وبكى أيضا.. إنّها الاتّحادية الجزائرية لكرة القدم ورئيسها الحاج محمّد روراوة، حيث يصعب فصلها عن السّياسة ومراكز صنع القرار.. إنّهم وزراء ومسؤولون سامون في مختلف القطاعات، فهل كانوا يمارسون السّياسة أم مجرد أعضاء في الهيئة التّقنيّة والإدارية للفريق الوطنيّ..؟؟

إنّ التّشهير بالسّياسيين ووصمهم بالفشل في تعبئة وإخراج الجماهير حقٌّ يُراد به باطل، لأنّ الأحزاب السّياسيّة السّتين، أو الجادة

منها وذات النّقل على الأقلّ، لم تُمنح من التّغطيّة الإعلاميّة والدّعاية والتّلميع ما حصلت عليه "الجلدة المنفوخة" كما وصفها الرّميل، وهو يعرف أنّها منفوخةً فعلاً أكثر من الحدّ اللاّزم، ولأسباب قد تكون أوضح من أن نكرّر الحديث حولها..؟؟

كما أنّ هذه الأحزاب عانت وما زالت تعاني إجحاف القوانين المنظّمة للتّجمعات والتّظاهرات والتّراخيص.

لقد نجحت السّياسة أيّها السّادة لأنّها أخرجت بقراراتها الجماهير إلى الشّوارع.. فمبروك الفوز.. وهذه السّياسة نفسها لو تغيّرت في قابل الأيام واستعملت وسائل الحشد والتّعبئة نفسها لوصلت إلى نتائج أخرى مختلفة تماماً.. ولربّما نجحت في إخراج المواطنين من بيوتهم وبين أيديهم تخفقُ الرايات الوطنيّة، ومن حناجرهم تنطقُ الهتافات ضدّ الفساد والمفسدين، والمناداة بإعادة شكيب خليل وعبد المؤمن خليفة وغيرهم من الفارين المطلوبين لدى العدالة الجزائيّة.

الحذر ثمّ الحذر أيّها الرّملاء من تقزيم وتحجيم دور السّياسة، فالنتائج لن تكون أقلّ من الكارثيّة: إنّها نسيان الواجبات، والعزوف عن الانتخابات، واستهجان النّضال، والتّخلّي عن النّقد والمساءلة والمطالبة بالحقوق.

2013-11-24

الْمَحْوَرُ الثَّلَاثُ دُنْيَا الْإِنْتِخَابَاتِ

على طاولة الرئيس المنتخب.. أول مقال في هذا المحور وهذا المقال أنموذج لمعاناة القلم عندما يضطر للكتابة مسaireً للأحداث الجارية، حتى لو أدرك أن مساحاتٍ معتبرةً منها خضعت لعمليات (خياطة) مسبقة، إن لم نقل إنَّ المشهد كله كذلك من أوله إلى آخره..

كانت عهدة الثالثة بعد تعديلات دستورية على المقاس، وكان أغلب الظن، بل الظن كله، أنَّ الفائز فيها معروف.. ومع ذلك حاول القلم أن يراوغ ويوهم نفسه أنه ينتظر النتائج فعلا، وأنها غير معلومة..!!

ومع ذلك.. وعلى حد قول الشاعر زهير بن أبي سلمى:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة... وإن خالها تخفى على الناس تُعلم
خرجت الكلمة في ثنانيا المقال: وبعد التفويض القادم نتوقع ردودًا عملية واقعية..
فحينها لم يكن في الوسع القول أكثر من ذلك.. لكن الحقيقة كانت: وبعد التزوير القادم.. والتفويض إشارة خفية، فلا معنى له في الديمقراطية الحقيقية..
لا أريد ادعاء الشجاعة الآن.. فذاك حالنا، وذاك ما كتبناه وعشناه وتعايشنا معه أو أوهمنا أنفسنا بأنه الصواب..

اختيار الصورة في أول هذا المحور كان مقصودا بشدة..

الموز والبطاطا..

نعم.. الصورة تعبر عن انشغالات طرحها المقال، لكنها تعبر الآن بأثر رجعي عن الهم الحقيقي لفئة من المسؤولين الكبار والصغار في تلك الحقبة: البطن والأكل والشهوات والمساكن وشراء العقارات والحسابات المصرفية في الخارج..
نعم.. لوم شديد يقع على الأحزاب والمرتشحين.. لكن اللوم الأشد على من أفسد الانتخابات والحياة السياسية بصفة عامة.. إفساد مع سبق الإصرار والترصد.

عَلَى طَاوِلَةِ الرَّئِيسِ الْمُنتَخَبِ

سألتُ جاري الحانوتيّ عن السبب الكامن وراء عمليّة
التّحليق المتواصلة لفاكهة الموز ورفضها النّزول من جديد
إلى أسعار معقولة بعض الشّيء ، فأجابني بأنّ تصرّف
الموزِ هو عين الحكمة والدّهاء ، فلا يعقل أن يظلّ في مكانه
وقد صارت البطاطا في محاذاته تماما بعد الارتفاع الجنونيّ
الذي شهدته أسعارها .



وخصّاراً في سوق شعبيّ أخبرني أنّه يحتاطُ قبل أن يعلن أسعارَ بعض الخضر الأساسيّة لكبار السنّ، ويسألُ زبونه أولاً، شيخاً أو شيخة، إن كان يعاني من ارتفاع ضغط الدّم أو داء السّكريّ، حتّى لا يتسبّب في تفاقم حالته أو ازدياد أعراض مرضه وهو يعرضُ أمامه أسعاراً خياليّة لخضروات عاديّة لا غنى عنها في أبسط مطابخ البيوت الجزائريّة.

البطاطا وما أدراك ما البطاطا التي صارت تصنعُ عناوين كبيرةً في الصحافة الوطنيّة، وتقرضُ نفسها في كلّ مكان حتّى على الحملة الانتخابيّة الرئاسيّة..!

إنّها بهذه الأهميّة والخطورة الآن.. لكنّ الأصل أن تكون هي ومشاكل أخرى في الطّريق نحو الانقراض والانسحاب بهدوء تامّ من حياة المواطن الجزائريّ، ليهتمّ بقضايا أكبر ويصارع تحديّات أخرى ترتبط بأفاق المستقبل الواسع والسّير جنباً إلى جنب مع الشّعوب المتقدّمة.

ومن جانب آخر، وعندما ننظر بواقعيّة نقول لأنفسنا: لا يمكن لعاقل أن ينكرَ أهمية ووجاهة موضوع البطاطا والمواد الغذائيّة الأساسيّة.. لكنّ الأصل أيضاً والحقيقة المرّة أنّنا مدعوون جميعاً، نحن معاشر الجزائريّين والجزائريّات، إلى الإحساس بالخجل من أنفسنا وصورتنا بين جيراننا الأقربين وبقية خلق الله في هذه الأرض، التي صارت متقاربة في أخبارها حين يتداولها القاصي والدّاني على حدّ سواء، فسوق المعلومات مفتوح وهذه الشّبكة العنكبوتيّة العجيبة الغريبة، وتلك

الفضائيات لم تترك خصوصيةً لأحد، ولم يعد بالإمكان إخفاء أشعة الشمس بغربال مهما كان حجمه ولونه وزينته والأصوات المنبعثة منه. لماذا هذا الإحساس بالخلج..؟

لأننا قد نستوعب أزمة بطاطا في بلاد لم تعرف نعمة المساحات الشاسعة والأراضي الخضراء الواسعة، أمّا في الجزائر فلا.. فقد أنعم الخالق علينا بنعمة الأرض الزراعية جنوبا وشمالا، تلالا وصحارى، وزادنا عليها نعمة البترول والغاز وبقية المعادن التي يزخر بها باطن أرضنا المعطاء، ما تمّ كشفه وما لم تصل إليه أيدينا بعد.. وحجم الخيرات والبركات التي تنعم بها بلادنا، وأعداد الكفاءات والطّاقات البشرية بين جميع فئات الشعب، والسنوات الطويلة التي أعقبت خروج المستعمر...

كلّ ذلك يشكّل من الحوافز ما يكفي لأن تكون البرامج الانتخابية المعروضة على الناخب بعيدة كلّ البعد عن مشكلة الغذاء والمأوى، فتلك أشياء من التّاريخ، وتُذكر فقط كأمثلة عن إنجازات تمت.. وبدل عنها يكون التّنافس في قضايا أرقى وأعلى، وربما يكون بينها الحديث عن ولوج عالم الفضاء، وإطلاق قمر صناعي على غرار دول أخرى أقلّ منّا قوّة وثروة.

يتوقّع محلّلون ومتابعون أن تكون نسبة المشاركة المعلنة بعد الانتخابات عالية، والمرشّح الأوفر حظاً، حسب ما ظهر في حملته الانتخابية، لمّح أكثر من مرّة أنّه يريد مشاركةً كثيفةً وبالتالي لا يرغب في فوزٍ عاديّ، بل ذلك النّصر المظفّر الذي يتحقّق بنسبة تفويض

مرتفعة، حتى يتمكن من إكمال ما بدأ من مشاريع، وتجسيد ما بقي في جعبته من مخططات وأفكار .

والحقيقة الساطعة أنّ الطبقات الشعبىة المحرومة تنتظرُ بعد الانتخابات انفراجاً عاجلاً ولو بقدر ما، وتنتظرُ بعد ذلك برنامجاً طموحاً يحقّق لها الحدّ المعقول من العيش الكريم، ويجعلُ من رغيف الخبز وكيس الحليب وسلّة الخضار أمراً متاحاً للجميع، وليتنافس الناس بعد ذلك في الكماليات كلُّ حسب عمله وجهده وسط أجواء نظيفة عماد مسيرتها تكافؤ الفرص، وحادي الجميع فيها "الكلّ سواسية أمام القانون". إذن.. بعد التفويض القادم ننتظر أن تبدأ مرحلة الجراة في معالجة جميع الملقّات العالقة والقضايا المؤجّلة، وأن تكون الأولويّة للوطن والوطن وحده.. أولويّة لا مجال فيها لأيّ توازنات على حساب الشعب مهما كانت المبررات التي تقف وراءها.

وبعد التفويض القادم نتوقّع ردوداً عمليّة واقعيّة على بعض الأحزاب التي أدمنت المعارضة والمقاطعة، لأسباب عديدة تظهر مرّة وتلتبس مرّات عديدة، تبدو مقنعة في بعض صورها وقوالبها ثمّ سرعان ما ترشح عنها "أعراض" وأهداف ضيقة ودعاوى جهويّة وعرقية، وحتى علاقات وامتدادات في عواصم ما وراء البحار..؟

ففي هذه الانتخابات بالتحديد أثار "التّجمع من أجل الثقافة والديمقراطية" عددا من القضايا الحساسة وضرب على وتر "التعددية السياسية والنّقابية وحقوق الإنسان وهويّة وطنيّة مطابقة لتاريخ بلادنا وعدالة في خدمة الشعب، وبشكل خاص وقف التلاعب بذاكرة

الشهداء" .. على حدّ تعبير السيد سعيد سعدي رئيس الحزب قبل أيام قليلة..

والمطلوب بعد أيّ تفويضٍ شعبيّ قويّ أن تقوم الجهات التي يهّمها الأمر بمحو آثار جميع مبرّرات السيد سعدي وأمثاله، وأن يرى الشعب، لا أن يسمع، تحولاتٍ عمليّة في جميع المجالات التي تنسج حولها الجهات المعارضةُ خيوطها باستمرار.

2009-04-09

الْعَجَبُ الْعُجَابُ فِي عَالَمِ الْأَحْزَابِ

قالت "أليس": هلا أخبرتني من فضلك، أيّ طريق
أسلكه من هنا...؟؟ فقالت القطّة: حسناً هذا يعتمدُ إلى
حدّ كبير على المكان الذي ترغبين في الوصول إليه.
قالت "أليس": لستُ أبالي كثيراً بذلك، طالما كنتُ
سأصلُ إلى مكانٍ ما، فقالت القطّة: إذن، لا يهمّ أيّ
طريق تسلكين...!!



بين القطة و"أليس" من كتاب (مغامرات أليس في بلاد العجائب) للكاتب البريطاني الشهير لويس كارول المتوفى قبل عامين من بزوغ فجر القرن العشرين..

والاسم الحقيقي للرجل هو تشارلز لوتويدغ دودغسون، وقد ألف اثنين من أشهر الكتب في الأدب الانجليزي أحدهما الكتاب المذكور والثاني، وهو تتمّة للأول، حملَ عنوان: (عبر المرأة)، وبين ظهور الكتابين ستّ سنوات؛ حيث ألف الأول عام 1865، والثاني عام 1871..

وقد تُرجمَ الكتابُ الأوّل الذي يُسمّى عادة (أليس في بلاد العجائب) إلى أكثر من ثلاثين لغة بينها العربيّة والصينيّة.

المفارقة الطريفة أنّ لويس كارول ألف كتّابيه لإمتاع الأطفال، غير أنّ الكبار يتمتّعون أيضاً بدعاباته وشخصياته الخياليّة والمغامرات الواردة في القصص، وأكثر من ذلك اهتمّ الباحثون بدراسة الكتابين للتّوصّل إلى مقاصد جميلة من وراء تلك القصص الموجهة نحو عالم الطّفولة البريء.

الحوارُ السّابقُ بين القطة و"أليس" يمكنُ أن يلخّص أهميّة وضع الأهداف ووضوح الرؤية، وقبل ذلك وبعده تلك الرّسالة السّامية التي تُوجّه حياتنا مثل البوصلة، وهكذا تحدّد الإطار العام لمسيرة سفينتنا وتعضمنا من الوقوع في أخطاء مدمّرة..

لقد قالت "أليس" للقطة عن الطّريق: لستُ أبالي كثيراً بذلك، طالما كنت سَأصلُ إلى مكان ما، وكان جواب القطة حكيمًا، وربّما حملَ

وراء كلماته تحذيرا أو توبيخا أو سخرية خفية: إذن، لا يهم أيّ طريق
تسلكين!..

ومن هناك حيث (بلاد العجائب) التي سطرّ فيها (لويس كارول)
مغامرات أبطاله نعوذُ إلى أنفسنا، وبلادنا ومجريات انتخاباتنا
التشريعية..

وعبر نظرة سريعة ندركُ أننا نحققُ نماذجَ أخرى لبلاد العجائب في
عدد من ولايات البلاد، وبعض تفاصيل وكواليس حياتها الحزبية
الجديدة القديمة!..

أما بعد الانتقال من النظرة السريعة إلى المتأنية العميقة فإنّ الحذر
مطلوبٌ من الإصابة بهزّاتٍ داخليةٍ قد تخلّفُ أثارا غير حميدة على
الفرد، إن لم يبادر إلى زيارة طبيب نفسيّ حاذق!..

والسبب وراء ذلك أنّ النّظر العميق في واقعنا الانتخابيّ قد يكشفُ
عن أساطير وغرائب ومآسي، ظنّ الطيبون المتفائلون أنّ أصحابها قد
انقرضوا تماما ودخلوا عالم المتاحف..

وسببُ التّفاؤل هو الحجم الكبير للتّعهدات الرّسميّة بنظافة العملية
الانتخابيّة، وأكبر منه مقدارُ ما تلقّاه المواطنُ عبر وسائل الإعلام من
تصريحات عن انتخابات تليق بالذكري الخمسين للاستقلال، لأنّها
ستمثّل المنعطفَ الحاسمَ في تاريخ البلاد، وبالتالي المنطقة المغاربيّة،
والعالم العربيّ كلّهُ.. ولم لا..؟؟

إذا كان صنّاع القرار لا يعرفون تماما ما يجري في مطابخ عدد
معتبر من الأحزاب والقوائم الانتخابيّة فتلك مصيبة، وإذا كانوا يعرفون
فالمصيبة أعظم!..

إنّها عمليّة سهلة للغاية، وما عليك سوى الاقتراب من بعض العارفين بالكواليس ثمّ تعطيل حواسك الأخرى وتركيزها في حاسة السمع فقط، وستعرف بعد ذلك قدرًا كبيرًا من الغرائب والقصص والأرقام والمشاحنات والتدافع الوسخ، وبعدها ستدخل عالم التّأليف بكلّ تأكيد حين تجدُ بين يديك مادّة دسمة لكتاب عنوانه: (العجب العُجاب في عالم الأحزاب).

يا سادة: إنّهُ نصفُ قرن من عمر الاستقلال الوطنيّ وهو زمن طويل استغرقت أوروبا أقلّ منه بكثير لتتعافى من مآسي وويلات ومخلفات الحرب العالميّة الثّانية، وإنّهُ ربعٌ عربيّ رفع سقف التوقّعات والآمال عند الشّعوب إلى الثّريا، وإنّهُ قوى عظمى تتربّص بالمنطقة لإعادة تشكيل خارطة مصالحها من جديد، وإنّهُ وطنٌ يغلي بعدد من الحساسيات والتراكمات..

إنّها باختصار مجموعة ضخمة من التّحديات، والجميع يعوّل على سفينة انتخابات العاشر من ماي 2012 للوصول إلى شاطئ الأمان، والجميعُ أيضًا يعوّل على نسبة التّصويت لتكون الفرق الذي يصنع الفرق هذه المرّة.. فماذا أعددنا للشعب..؟؟

وما هي العلامات الفارقة فعلا بين ما مضى وما هو آت..؟؟
مواطنٌ يتحدّث بين أصحابه عن الانتخابات ويؤكّد أنّها دون جدوى على الإطلاق، ثمّ يتبجّح بأنّه شارك مرّة واحدة في انتخابات بلدية، ودخل أحد عشر مركز انتخاب مع مجموعة كانت تتحرّك على متن سيّارة بترتيب معيّن لترجيح كفّة قائمة بعينها، ثمّ يقهقه عاليا ويضيف:

فعلتُ ذلك لأجل رئيس البلدية المنتظر حتّى يسمح لي بالاستيلاء على مساحة أمام دكاني، لكنّه أهملني بعد الانتخابات...!!
ثمّ يقسمُ بأغظ الأيمان ألاّ يُدخلَ ورقةً في صندوقٍ مرّةٍ أخرى..
إنّه خليطٌ عجيبٌ من الإحباط والسلبية والفساد الفكريّ والثقافيّ..
فما هو (الجديد) في هذه الانتخابات (الجديدة) حتّى يتعافى الكثير من المواطنين من سلبيتهم وعزوفهم المرصّي عن المشاركة...؟؟
إنّ بعض المتشائمين يشبهون المعركة الانتخابية برمتها بأصلعَيْن لا يوجد لأحدهما شعرة في رأسه، لكنهما يتشاجران على مشط.. ماذا سيفعلان به..؟ الله أعلم..

يقول هؤلاء: الانتخابات لا تغيّرُ شيئاً والوجوه متشابهة والتقارير والخطابات البرلمانية هي نفسها، فما الداعي للتعب..؟
المشكلةُ في هذه الانتخابات أنّ مناخها العامّ لم ينجح في التخلّص من أولئك الذين لا يبالون كثيراً بأهميّة وخطورة المكان الذي يتسابقون نحوه، ولا يهتمّهم سوى اسمه وشكله ومكاسبه، وهكذا لا يعني لهم الطريق الذي يسلكونه أيّ شيء.. كما قالت القطّة لأليس في قصة لويس كارول..

ومع كلّ ما سبق ما زالت الفرصةُ متاحةً لتصحيح مسار السفينة، ومن ثمّ الوصول إلى شاطئ الأمان..
كيف..؟ باختصار شديد: عبر اختيار الكفاءات وإقصاء نقيضها.

2012-03-31

الوقت متاح.. دَلِّلُوا بِقُوَّة

في أجواء الحملة الانتخابية الساخنة حيناً والباردة حيناً آخر نتوقّع أن تتجسّد مخرجاتها من خلال رواد المقاهي والأماكن العامة وعند مدمني الجلوس على قارعة الطريق لمراقبة الغادي والرّائح، وحتى في المساجد في أعقاب الصلوات، فضلا عن الإدارات والمؤسسات والمواصلات العامة.. لكنّ ذلك لا يكفي لتوضيح الصورة، إذ لا بدّ من زيارة العالم الافتراضي بكلّ ما له وما عليه.



عالم الانترنت، وموقع التواصل الاجتماعيّ الفيسبوك على وجه التحديد، مشحونٌ هذه الأيام بما يمكنُ أن يجسّد صورة الحراك الانتخابيِّ، وما يحدثُ بين الأحزاب والقوائم والمرشّحين من ناحية، وبين المواطنين سواء منهم المتحمّس للتبكير لصندوق الاقتراع يوم العاشر من ماي القادم، أو المُنادي بالمقاطعة والمكوث في البيوت.

ربّما يكونُ المثيرُ في عالم الفيسبوك أنّ عمليات التّخفي وانتحال الأسماء والألقاب متاحة للجميع، ولهذا يتحدّث البعض بقدر أكبر من الحرّية؛ سواء منها المسؤولية أو العبثيّة التي تصلُ إلى حدّ الشّتم والسّباب والقذف والتّجريح الشّخصيِّ، واللامبالاة بالوطن ومستقبله عبر كلمات متناهية في السّلبية والانطوائيّة والسوداويّة في النّظر إلى كلّ شيء في الجزائر!..!

نعم ربّما يستحي أو يخاف أحدهم وهو يتحدّثُ أمام غيره في المقهى أو الحافلة؛ لكنّه سيشعرُ بحرّية كاملة وهو يعبّر عبر صفحات الفيسبوك من خلال اسم مستعار لا يحملُ أيّ ملامح سوى صورة منظر طبيعيّ أو طفل صغير أو غيره.

تابعتُ الكثيرَ من اللّغط والجدل حول القوائم الطّويلة العريضة في إحدى ولايات الوطن، واندمجتُ بعض الوقت مع رواد العالم الافتراضيّ وهم يتبارون في ما يمكنُ وصفه بالمناظرات السياسيّة المفتوحة، لكنّ ما أعجبنى في الأخير هو قولُ أحدهم عندما راح يحاولُ إنهاء الجدل العنيف من خلال هذا السّؤال: ما هي مواصفات النّائب الذي نريده بغضّ النّظر عن حزبه أو قائمته..؟

وكانت الإجابات كثيرة لكنّ أبرز ما شدّني فيها هو توصيفُ أحدهم
للنائب المثاليّ في نظره وهو ذلك الرّجل، أو المرأة طبعاً، الذي لا يخافُ
المسؤولين، ولا يشعرُ بأيّ عقدة أمامهم، وبالتالي سوف يدافعُ بشراسة
عن حقوق المواطنين.

كلام على الشّاكلة نفسها يتكرّر بصيغٍ مختلفة ومفاده أنّ النائب
الذي سيكون (معشوق الجماهير الجزائريّة المنشغلة بالدورّي الإسباني)
هو ذلك الذي يملكُ القدرَ الكافي من الجرأة والشّجاعة التي تجعله يقف
أمام المسؤولين، خاصّة الكبار منهم، وينهي أمّ الأساطير في جزائر
الاستقلال، وهي أنّ بيننا مجموعات من البشر لكنّهم ليسوا مثل بقية
البشر، وهم جزائريّون لكنّهم ليسوا مثل سائر الجزائريين...؟؟

إنّهم أناس فوق المحاسبة والقانون، لأنّهم يحسنون صناعة القانون
والدّوس عليه متى أرادوا، سواء بشكلٍ ناعمٍ عبر المراوغة المدروسة،
أو التعديّ السّافر دون خوف أو حياء...!

إنّنا نشهدُ العدّ التنازليّ لانتخابات العيد الذهبيّ لاستقلال الجزائر،
وفي المقابل لا نشهدُ أيّ مؤشّرات كبيرة عن غزو جماهيريّ لمكاتب
الاقتراع، ونتحدّث عن غزو لأنّ غير ذلك، أي الحضور العاديّ، لا
يؤخّرُ أو يقدّمُ قيّد أنملةٍ في وضع البلاد والعباد.. وهكذا سوف نجد
أنفسنا في انتظار فرصة أخرى قد لا تكون متاحة على المدى القريب،
وحينها قد نتلقّ شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً لنجد أنفسنا في مواجهة
بعض المعادلات السياسيّة غير السويّة...؟

ربّما نقولُ لأنفسنا إنّ الوقتَ ضاقَ ولسنا في زمنِ المعجزاتِ حتّى
نتمكّن من تحويلِ الفُتورِ الشّعبيّ إلى حماسٍ عارمٍ ورغبةٍ جارفةٍ في
التّصويت، ومن ثمّ تحقيقِ المعادلةِ المطلوبةِ وتقويتِ الفرصةِ على كلّ
أولئك الذين يحلو لجهاتٍ رسميّةٍ رميهم بجميع التّهم وتعليقِ شماعاتِ
مشاكلنا عليهم...!

لكنّ الحقيقةَ أنّ الوقتَ متاحٌ ومتاحٌ جدًّا، لأنّنا باختصارٍ شديدٍ في
القرنِ الواحدِ والعشرين، وعوالمِ ثورةِ الاتّصالاتِ وما توفّره من قدرةٍ على
الوصولِ إلى كلّ مواطن، مهما كانت اللّغة التي يفهمُ بها عناصرِ
المعادلة.

أيّامٌ معدودةٌ فيما بقي من عمرِ الحملةِ الانتخابيّةِ كافيةٍ لقلبِ
الأوضاعِ رأسًا على عقب، وتوجيهِ دقّةِ السّفينَةِ في الاتّجاهِ الصّحيحِ
والخلودِ إلى نومٍ هادئٍ بعيدٍ عن الكوابيسِ والأحلامِ المزعجة..

لكنّ.. كيف ذلك..؟ وَمَنْ المُؤهَّلُ لتحقيقِ هذا التّحوّلِ العظيمِ..؟؟
إنّها قراراتٌ بسيطةٌ في صياغاتها اللّفظيّةِ، وكلماتها التي ستظهرُ بها
في مانشيتاتِ الصّحافةِ الوطنيّةِ والدّوليّةِ، لكنّها قراراتٌ جريئةٌ يتمنّاها
كلّ مواطنٍ جزائريٍّ في نفسه تارةً وعلى رؤوسِ الأشهادِ أحيانًا..

إنّها قفزةٌ ساحرةٌ تتمثّلُ في عمليّاتِ نفضِ الغبارِ عن مشاريعِ وخططِ
وبرامجِ محاربةِ الفسادِ المكدّسةِ في أدراجِ اللّجانِ والهيئاتِ، والمبثوثةِ
في الخطاباتِ الرّسميّةِ من أعلى المستوياتِ إلى أسفلها.

المواطنُ لا يطلب المستحيل ويدركُ أنّ التّغيير الحقيقيّ في حاجة إلى وقت وصبر، لكنّه يرغبُ دون شكّ في تلمّس أدلّة تمثّل عربونًا لحسن النّوايا وصدق العزائم..

دَلّلوا له أيّها السّادة، ولتكن الأدلّة دسمةً جدًّا فتنزل ثقيلةً على عقل ووجدان المواطن، وهكذا سوف نراه مهرولاً يوم العاشر من ماي القادم نحو مراكز الانتخاب، بعد أن تزلزلَ كيانه من هول المفاجأة، وزالت الغشاوة من عينيه، وأدرك أنّ الأمرَ جدًّا لا هزل هذه المرّة.

إنّهم يمرحون ويسرحون ويتضحكون كسابق عهدهم، وأخبار مصائبهم لم تعد همسًا بين المواطنين...!!

إنّهم رؤوس الفساد الماليّ الذين أكلوا الأخضر وبخلوا على الشعب حتّى باليابس.. حركوا ضدّهم الدّعاوى، وشجّعوا أهل الشّهادة على تقديم ما عندهم، وسوف تتهاوى قاماتٌ طويلةٌ ما زالت توهمنا أنّها أكبرُ من أن يطالها لومٌ أو عتاب، فضلا عن عقاب صارم..

أعطوا للمواطن من الموائيق والبراهين ما يمكّنه من رؤية صورة جديدة.. وعندها سوف تعلن الجماهيرُ، بشكل عفويّ، نفيها العامّ إلى مكاتب الاقتراع.

2012-04-28

الانتخابات.. مشروع نهضة

عدد أعضاء القائمة تسعة بين أساسي واحتياطي، والانتخابات حامية الوطيس من حيث حجم الأحزاب والقوائم كما هو الحال في انتخابات العاشر من ماي الجاري، ودخل رأس القائمة المعركة الانتخابية بكل ما أوتي من قوة، أو بدون قوة على الإطلاق فالأمر سواء بالنسبة إليه.. وكانت المفاجأة عند إعلان النتائج حين حصدت القائمة ستة أصوات فقط.. أي أن بعض أعضائها صوتوا لغيرهم...!!



القصة حقيقية، ويحلو لصاحبها التندرُ بحكايتها، وقد سمعتها من صديق أكاديمي ضمّن هواياته جمع الغرائب والتّوادر وروايتها، وهذا الصّديق تجمعه صداقة مشحونة بالطرائف مع صاحب القائمة التي حققت المفاجأة، وحصلت على أصواتٍ أقلّ من عدد أفرادها الذين يُفترض فيهم الإيمان قبل غيرهم بمشروعهم وأهدافهم المسطرة لخدمة الوطن والمواطن!..

ومع أنّي وصفتُ ما حدث بالمفاجأة، لكنني لن استغرب إذا سمعتُ عمّن يكسرُ الرّقم القياسي في هذه الانتخابات ويحصلُ على (صفر) من الأصوات، ولن نتعجّب أبدًا لهذا الأمر لأنّ ما يحدث من (بزنسة) في تمثيل الأحزاب عبر الولايات واستغلال التّرشيح والقوائم لأغراض أخرى؛ يؤهّل إلى درجة متدنية جدًا في سلم الرّداءة الأخلاقية، بعد الإفلاس السياسي، ما يجعلُ بعض القوائم تتبع أصواتها على قارعة الطّريق، لأنّ الهدف من القائمة نفسها لم يكن الرّغبة في الوصول، فأصحاب تلك الأسماء والصّور المجهولة يدركون استحالة وصولهم إلى مبنى البرلمان لأنّهم بلا رصيد على الإطلاق، وعلى يقينٍ أيضًا أنّ زمن المعجزات قد ولى، لكنهم مثّلوا أحزابا جديدة لأغراض ومنافع مادية بحتة، ولا عيب بعد ذلك عندهم أن يواصلوا عمليّات الانتعاع والاسترزاق، فيبيعوا أصواتهم لغيرهم، فتخرج قوائمهم من السّباق خالية الوفاض.

وعندما نحذف من القائمة تلك الأحزاب النّفعيّة الخالصة، ونقبلُ بتحفظ بعض الأحزاب والقوائم الجديدة التي تحملُ جديةً في الطّرح

والبرامج، تظلُّ المشكلة قائمةً أيضاً لأنَّ التَّمَايزَ في الخطِّ السِّيَاسِيَّ غير متوقَّر في كلِّ الحالات، وهكذا فإنَّ نظرةً فاحصةً إلى هذا العدد الكبير من الأحزاب والقوائم في أيِّ ولاية؛ يجعلنا نكتشف أنَّها تدورُ حول عدد محدود من التَّوجَّهات الفكرية والإيديولوجية والسِّيَاسية.

ومع ذلك نتوقَّع من هؤلاء الذين دخلوا العملية الانتخابية، وأتحفونا بصورهم وخطاباتهم، أن يكونوا على قدر المسؤولية بعد صدور نتائج الانتخابات ويستحووا من أنفسهم، وهكذا يتعيَّن على كلِّ فصيل حصَّد (الأصفار) بجدارة أن يبادرَ إلى الاستقالة من الحياة السِّيَاسية أو الانضمام إلى حزب أو تجمُّع يتمثِّلُ معه في الطَّرح، فلا حاجة لنا بهذا العدد الكبير من الأحزاب، وعفا الله عمَّا سلف، ودعونا نعتبِرُ ما حدث كابوساً مزعجاً زالَ مع غروب شمس العاشر من ماي.

إنَّ المرحلة القادمة حاسمةٌ بكلِّ لما لهذه الكلمة من معنى، وتحتاجُ إلى تجاوز سياسة الكرنفالات التي نشهدها هذه الأيام، ومن هناك ينخرطُ الجميعُ، مهما كانت نسبُ تمثيلهم في البرلمان، في ائتلافٍ ضمنيٍّ أو رسميٍّ للوصول بالبلاد إلى بزِّ الأمان وتقويت الفرصة على المتربِّصين في الدَّاخل والخارج.

في المرحلة القادمة لا تتفَعُ بلادنا (خشونة الرأس)، ولن يكون من الحكمة السِّيَاسية الانفراد بالأمر لأنَّه حملٌ ثقيلٌ يتجاوزُ عمر دولة الاستقلال إلى قرنٍ وثلث قرنٍ من الاستعمار، وحتَّى قبل ذلك حيث لم تكن الجزائر (العثمانية) في أحسن حالاتها دائماً، خاصةً في السنوات الأخيرة من حكم الدَّايات.

وهكذا فإنّ التّصريحات العنترية عن حلولٍ تحملُ طابعَ المعجزات ينبغي أن تغيب عن الحملة الانتخابية..

نعم من حقّ أيّ حزب نشرَ روح الأمل والتفاؤل، لكنّ الحقيقة بكلّ جوانبها تُلزِمُهُ بالتّواضع للجزائر والجزائريين، والاعتراف أنّ المشكلة أكبرُ من حزبٍ واحدٍ أو تكتّلٍ مجموعة من الأحزاب، رغم أحقية أيّ جهة فائزة في القيادة والإشراف.

لقد تعلّمنا من ثقافتنا الدّينية أنّ طالب المسؤولية تُوكَلُ إليه، لكنّ من أوكلت إليه دون طلب منه يُعانُ عليها..

وهكذا.. فعلى أولئك الذين يصرّحون بما لا يطبقون مراجعة حساباتهم جيّداً، وإعادة صياغة خطاباتهم بإحكام لتتضمّن التعاون والتّسيق، والعملَ على إيجاد أرضية تفاهم بين الجميع، لأنّها مفتاح أيّ نجاح في المستقبل مهما كان لون أو شكل البرلمان القادم.

إنّ المرحلة القادمة مرحلة نهضة، فبعد خمسين سنة من الاستقلال ننتظرُ عودة الشّرعية إلى الشّعب كاملة غير منقوصة، ومن ثمّ التّوبة من سلوكيات عقود المهاترات، لنشهد انطلاق سنوات التأسيس لدولة حقيقية تتناسبُ مع حجم الأرض والإنسان والزّمان والمكان.

إنّ بناء الإنسان ينبغي أن يكون سمة المرحلة القادمة، وهكذا فنحن، كما يرى بعض أهل البصر والبصيرة، في حاجة إلى تحضير فكريّ شامل ومتواصل للشّعب حتّى يتجاوزَ مرحلة اليأس التي يعيشها الآن، التي غدّتها وتغذّيها جهات مشبوهة، وينطلق في طريق الأمل

بعد حصوله على إجابات شافية لتساؤلاته وشكوكه حول مستقبل
البلاد...؟

وهكذا تتضح الرؤية ويظهر الطريق واسعاً فسيحاً، وتفتح مسارات
عملٍ ونشاطٍ سياسيٍّ جديدٍ يتلاءم مع طبيعة المرحلة، وبعدها سوف
يكون لزاماً على الجميع الالتفاف حول مشروع وطنيٍّ طموح، خاصة
النخب ذات العلاقة بصنع القرار، ومن هناك يؤمن الجميع بأهمية أن
يكون لنا دورٌ رياديٌّ حضاريٌّ، وأن من حقنا، بل إننا جديرون، بدخول
حلبة التنافس البشريِّ حول القيادة الإنسانية، لأننا نملك الرصيدَ
الكافي لخوض هذه المنافسة.

إنّ التّحديات التي نعيشها تفرض على أحزابنا الفاعلة النظر إلى
هذه الانتخابات على أنها مشروعٌ نهضة، وليست مجرد لعبة انتخابية
محدودة السقف..

والمشروع العظيم في حاجة إلى لغةٍ وفاقٍ وتعاون.. وقد نعذر من
يغفلها خلال الحملة الانتخابية.. لكن لا عذر بعد ظهور النتائج؛ لأنّ
الحملَ أثقل من أن يتحمّله ظهرٌ واحد.

2012-05-05

عَاجِلٌ .. عَلَى جَدْوَلِ أَعْمَالِ الْبِرْلَمَانِ

رغم كلِّ شيءٍ ، ورغم أكوام التّشكيك المختلفة الأحجام والألوان ، ورغم القناطر المقلّنة من اليأس والتّشاؤم الذي ما زال معشّشا في عقول بعض فئات المجتمع .. رغم كلِّ ذلك دعونا نحاولُ الاتّفاقَ على أنّ هذه القفزة في نسبة المشاركة، مقارنة بتشريعيّات 2007، هي ضوءٌ في آخر النّفق، وتعالوا لنختلف بعد ذلك عن قوّة وشدّة ذلك الضوء أو ضعفه أو حتّى جدواه على المدى القريب.



النسبة بلغت قرابة الـ 43 في المائة، وهي نسبةٌ عاليةٌ جدًّا مقارنة بما حدث من دعوات علنيّة صريحة للمقاطعة، والأخطرُ منها تلك الدّعوات غير المعلنة عبر ذلك الكمّ الكبير المستفّر من القوائم الانتخابيّة، وهو الأمرُ الذي أفرغَ العمليّة من مضمونها عند قطاعٍ غير قليل من النّخبين، وهم أولئك الذين يقفون على الحياد، وكان بالإمكان إقناعهم بالتوجّه إلى صناديق الاقتراع لو كانت القوائم أكثر جدية، ولم تشهد تلك المهازل في عدد معتبر من الولايات.

دعواتُ المقاطعة العلنيّة من الدّاخل الخارج لم تجد، في تقديري، ذلك الصّدى الكبير الذي قد يستشعره مَنْ يتابعُ برامجَ بعض الفضائيات وأحاديث متدخّلين لا يملكُ بعضهم سوى الغضب واليأس والحنين بالعودة إلى ذكريات تعودُ إلى أكثر من عشرين سنة، وينسى، أو يتناسى، هؤلاء أنّ عجلةَ الزّمن لا تنتظر أحدا، وأنّ معادلةَ الشّارع الجزائريّ تغيّرت، كما تغيّرت أيضا ظروف ومعطيات إقليميّة ودوليّة. إذن.. فدعوات المقاطعة الأخطر كانت عبر أولئك الذين صدّعا رؤوسنا حين انطبقَ عليهم المثل الشّائع (نسمعُ جعجعةً ولا نرى طحينا)..

نعم إنّها تلك القوائم التي بلغت الأربعين وفوقها وتحتها في ولايات عديدة، وظهرت فيها صورٌ لرؤوس قوائم مجهولين، ومن خلفهم أكثر غموضا، وبين هؤلاء جميعا، مع كامل الاحترام لجميع المهن والأفراد عندما يحترمون أنفسهم ويدركون قدرهم، أعدادٌ من أصحاب المستويات المتدنيّة، في الخبرة والثّقافة والتّعليم، يزعمون أنّ لهم طاقة على حمل

مسؤولية تمثيل الشعب في البرلمان، ومن ثم صناعة الفرق المطلوب في المسيرة بعد خمسين سنة من الاستقلال.

إنها وقاحة، بل إنها إهانة للشعب الجزائري عندما نفتح الباب دون معايير مناسبة ليدخل منه من شاء وكيف ما شاء، ويتصدى لانتخابات تشريعية في هذا المنعطف التاريخي الذي تمر به بلادنا، ووسط حجم المخاطر المحدق بها داخليًا وإقليميًا ودوليًا...!!

لا أدري إن كان يجوز لي أن أقول: كم أنت مسكينة يا جزائر...؟! حدثني شاب من أقاربي، خريج علوم سياسية، عن صديقه الأستاذ الجامعي الشاب فقال: دخل صاحبنا إلى مكتب التصويت ثم خرج وعلق قائلاً: أحسست أنني غبي لو أجهدت نفسي في جمع تلك القوائم الأربعين ثم الاختيار من بينها..!

وبغض النظر عن قرار الشاب الأستاذ، وإن كان الصحيح أن يغالب نفسه ويبلغ المرارة ثم يتقدم بخطى ثابتة ويختار الأفضل، لأنه متوفر بين هذا الركام، أو أن الصواب هو انسحابه مع أنه دخل المكتب فعلاً وصار أقرب إلى المشاركة منه إلى المقاطعة..؟

بغض النظر عن ذلك فإن هذه القوائم الطويلة العريضة كانت عاملاً مساعداً على المقاطعة، ووصفة مناسبة لتشتيت الأصوات وتعويم اتجاه النتائج، وصناعة جو من الضبابية قبل الانتخابات وبعدها..

قلتُ لخالتي يوم الانتخاب، وهي عجوزٌ أمية في السبعين من عمرها: سأوصلك إلى المدرسة حيث القائمة التي فيها اسمك، فأجابت: سمعتُ أن الأوراق كثيرةٌ وأنا لا أحسن القراءة، وكيف أفعل، فقلت لها مازحاً:

اختاري أي صورة تعجبك وضعيها في الظرف، فقالت: وما الداعي لكل هذا التعب..؟

ورفضت خالتي المشاركة..

وشاب آخر قال لي: لقد تعبتُ من جمع الأوراق، فاكتفيتُ بعدد من القوائم فقط، وواصل: حتّى لا أُغضبَ هذا العدد الكبير من رؤساء القوائم؛ حاولتُ وضع كلّ الأوراق التي جمعتها في الظرف، فلم أتمكّن إلا من وضع ثلاثة فقط ثمّ رميتُ الظرفَ المنتفخَ في الصندوق...!
(نقطة نظام) أخرى في هذه الانتخابات يمكن توجيهها إلى أولئك الذين لم يحسنوا التّقدير فأساءوا إلى الفتوى والعلم الشرعيّ عندما بالغوا في دعوة الناس إلى صناديق الاقتراع...؟

لقد استعملوا العلاقة المتعدية في الرياضيات، وكأنّ الأمر بهذا البساطة: (أ) تساوي (ب) و(ب) تساوي (ج)، إذن (أ) تساوي (ج)..
وهكذا راح هؤلاء يفتنون: المقاطعة تعني الانسداد السياسيّ، والانسداد السياسيّ يعني الفوضى، والفوضى تعني تدخّل حلف الناتو... إذن المقاطعة حرام...!!

وزاد أحدهم الطّين بلّة عندما شبّه المقاطعة بالتّوليّ (يوم الزّحف)، وهو من الكبائر في أحكام الشريعة الإسلاميّة...!!

إنّنا يا سادة في دولة تعدّدية والمقاطعة حقّ مشروع، وكان على علماء الدين الذين شاركوا في الدّعوة إلى الانتخابات (مشكورين) أن يحصروا مساهماتهم في النّصح والترغيب، وبيان قيمة الوطن وحبّه..

أما أن نضع الطرف الآخر في زاوية ضيقة ونقول له إنك مع (الناتو)، أو أنه في صف (مرتكبي الكبائر) فذلك انزلاق خطير، خاصة بعد أن تحدت النتائج الرسمية عن نسبة مشاركة بلغت 43 في المائة، فهل يعني هذا أن 57 في المائة، وهم المقاطعون، مع الناتو والتدخل الأجنبي، ومن تم نرميهم بالفسوق والفجور...؟؟

ومع كل ما حدث، ويحدث، لا بد من التنازل بأن الجزائر بخير، وعلى البرلمان الجديد أن يؤكد هذا الأمر عبر ممارسات غاية في السمو، وأن يكون الأمر العاجل على جدول أعماله هو بناء تلك الصورة الجميلة للجزائر..

صورة الاختلاف المحمود، حيث الاتفاق على الوطن، ثم الاختلاف بعد ذلك كما تشاء ألوان الطيف البرلماني..

والوطن في حاجة إلى بناء القيم من جديد، وإسدال الستار عن سنوات الرداءة والتخلف.

2012-05-13

انْتِخَابَاتُ رِئَاسِيَّةٍ بَيْضَاءِ

بدأت معالم الطريق المؤدية نحو قصر المرادية في
الوضوح بعد أن استدعى الرئيس عبد العزيز بوتفليقة
الهيئة الناخبة لأجل الرئاسيات المقبلة، وتحدّد الموعد
بالتّمام والكمال في السابع عشر من شهر أفريل
القادم، كما أنّ بقية التّواريخ المهمة في هذه الرّحلة
باتت معروفة.. وهكذا صار في وسع الطّامحين، إلى
شغل المنصب الأعظم في البلاد، الإفصاح عن
مكنوناتهم والتّحضير للسّباق الكبير..؟؟



الأيام القليلة التي سبقت الدعوة الرئاسية كانت مشحونة بالتصريحات المؤيدة لهذا الطرف أو ذاك، ومما زاد الطين بلة سفر رئيس الجمهورية إلى فرنسا، وتحديدًا إلى مستشفى فال دوغراس، لإجراء فحوصات تداولها كل طرف بما تزدهم به خزائنه من خلفيات وآراء ومواقف، ونسج حولها خيوط المستقبل الذي يحلم به.

جولة على الأخبار الوطنية خلال هذه الأيام سوف تضع أمامنا عددًا من القضايا المطروحة في جميع المجالات من جهة، وعبر مختلف جهات الوطن من جهة ثانية..

وهذه القضايا تتفاوت في أهميتها بين الحكومة والمعارضة، وبين المواطنين فيما بينهم أيضا...؟

ومع حجم الأخبار العربية الضاغطة سواء في الملف السوري أو المصري، أو حتى الجيران في تونس وليبيا؛ وجدت نفسي منساقًا لحديث في جلسة عامة بعد صلاة يوم الجمعة الذي أعلن فيه الرئيس عن استدعاء الهيئة النّاخبة.

لقد ساقنتي قدامي، كالعادة عندما أزور قريتي، إلى مجلس غير متجانس في الأعمار والمستويات المادية والتعليمية، فهو تعبير صادق عن المجتمع..

الاجتماع حول إبريق الشاي، وباب الحديث مفتوح للجميع بلا أدنى شروط أو قيود، والنقاش متاح حول أي مسألة أو قضية، مهما كانت بساطتها، وقد ترتفع الأصوات ويظن المراقب البعيد أنّ القوم قاب قوسين أو أدنى من معركة حامية الوطيس...!

مدّة قصيرة جدًا انصرفت منذ أعلن الرّئيس عن استدعاء الهيئة النّاخبة، ومع ذلك لم يصمد النّقاش حول الانتخابات سوى دقائق معدودة كان الهزل فيها أكثر من الجدّ، ثمّ انتقل الحديث إلى تلك المادّة التي توصف بأنّها من أكثر المواد الغذائية فائدة، وأنّها الشّراب المفضّل لدى النّاس في جميع أنحاء العالم، وأنّها تحتوي على جميع المواد المغذّية التي يحتاج إليها الإنسان لنموّه والمحافظة على صحته بصورة جيدة...؟؟

إنّه الحليب بطبيعة الحال..

دار الحديث حول مصنع جديد للحليب ستعرفه المنطقة ويشكو صاحبه من القرار المزمع تطبيقه حول العلب الكرتونية بدل الأكياس البلاستيكية، الأمر الذي سيكلف الرّجل بعض الخسائر لأنّه جهّز الأكياس وطبع الاسم والبيانات عليها، على حدّ قول ناقل الخبر. وتحدّث مواطن آخر عن مصنع جديد ينتظر إتمام الإجراءات، وتذاكر القوم أنواع الحليب ومدحوا بعضها وذمّوا عددا آخر، وعبر شابّ مشاغب عن إعجابه بحليب يدعى (منارة) قال إنّه رائع جدًا...؟؟ وتساءل أكثر من واحد عن هذه الشركة التي ذكرها حيث لم يسمع عنها الحاضرون شيئًا..

وظلّ الشابّ صامتًا لا يجيب حتّى ضحك جاره قائلاً إنّها معزاة أمّه التي يشرب من حليبها كلّ يوم.. وتسميّة الحيوانات الأليفة وتدليلها أمرٌ شائع عند القرويين.

في المجموعة شابّ، خريج جامعة، يدير دكانًا للمواد الغذائية، أدلى بدلوه قائلاً إنّ رجلاً يملك بقرتين يزود دكانه بالحليب الطّازج، وراح

يتحدّث عن الإنتاج اليوميّ الكبير والدّخل المحترم الذي يجنيه صاحب هذا المشروع الصّغير والبسيط، رغم أنّ البيئَةَ غير مساعدة.

إذن.. هو حديثُ الحليب في كلّ المجالس خاصّة عندما تشتدُّ أزمته.. ليتحوّل إلى عملة نادرة تتخاطفها الأيدي وتشرئب لها الأعناق عندما تتوفّر بكميات محدودة.. ولتزدهر بسببها بورصة التكهّنات والتحليلات والإشاعات عندما تغيب، ومع هذا الغياب تُرْفَع أسعارُ الحليب الجافّ أو طويل الحفظ...!

تزامنت أزمة الحليب هذه المرّة مع بدء العدّ التنازليّ للانتخابات الرئاسيّة، وقد يصنّف البعض هذا التّزامن في خانة سوء الطّالع للسلطة والأحزاب المؤيِّدة لها لأنّ تعليقات الصّحافة المشاغبة والمعارضة السياسيّة سوف تركّز على جملة واحدة تقريبا، وهي أنّ الذي فشل في توفير الحليب للجزائريّين لن ينجح في تسيير بقية الملقّات الثّقيلة.

ولا أدري... قد يكون هذا التّزامن من حسن الحظّ للسلطة والمعارضة على حدّ سواء حين تتحوّل الحملة الانتخابيّة إلى اللون الأبيض بالكامل.. لئن الحليب ذلك المشروب الذي يصعب الاستغناء عنه خاصّة لصغار السنّ.

وعلى هذا الأساس أدعو الطّبقة السياسيّة إلى التّفكير في هذا الأمر، وسوف تضمّن الظهورَ في جميع وسائل الإعلام العالميّة، فضلاً عن العربية والوطنية، لأنّ مزج السياسة بالحليب، وعبر أفكار إبداعية مثيرة، سوف يجعل الحملة متميّزة فعلا، ويؤهلها للتربّع على أماكن مناسبة في سلّم نشرات الأخبار وعناوين الصّحف.. أما في الإعلام الجديد فحدّث ولا حرج.

لن تجدوا أحسن من الحليب في حملاتكم الانتخابية وخطابكم للمواطنين في التجمعات العامة ووسائل الإعلام، وسوف تزيّن أكياس وعلب الحليب لافتاتكم وملصقاتكم، وتكون صور البقر والماعز والغنم، وحتى النوق، حاضرة بقوة، أما حظائر هذه الحيوانات ومراعيها فستحوّل إلى أماكن مفضّلة للزيارة والتّصوير وإثبات الوجود لزيادة مستوى الشعبية وحظوظ الفوز...!!

لقد سئنا قبل الحملة الانتخابية من السياسة لأنّ الحملة لم تنقطع على ما يبدو منذ فترة طويلة، وهكذا قرأنا وسمعنا عن حجم الإنجازات العظيمة التي تقول السّلطة إنّها تحقّقت منذ بداية الألفية، وتحديدًا في فترة حكم الرئيس بوتفليقة بعهداته الثلاث..؟؟

وفي المقابل قرأنا أيضا وسمعنا الرّأي الآخر الذي يقلّل من أهميّة تلك الإنجازات، ويدبّجُ قصائد البكاء على الوضع المزري الذي صرنا إليه، مع أنّ المليارات، الحمراء، من أموالنا ترقّد بسلام في خزائن الآخرين...؟؟

تنافسوا أيّها السّادة في توزيع الحليب على النّاس من الآن، فهو سرّ الحياة، وسرّ الأصوات الانتخابية أيضا.. وهكذا سوف نسجّل لأنفسنا إنجازا وطنيا جديدا.. إنّ الانتخابات الرّئاسيّة البيضاء.

2014-01-19

دَفْتَرُ الدِّيُونِ

قلتُ لصديقي الدكتور: ألا تعتقدُ أنّ وعودَ السيد عبد المالك سلالَ بتشبيبِ الدولة بعد الانتخابات ستجدُ طريقها إلى التطبيق..؟ فردّ عليّ: أربأُ بك أن تبني نتائجَ من غيرِ مقدّماتٍ حقيقيّة.. قلتُ: لا أَلعبُ دورَ المحلّلِ السّياسيّ، لكنني أمارسُ حقّي في الحفاظِ على شعلةِ الأمل، مهما كان رأي الآخريين، ومهما تباعدت المسافاتُ بين المتشائمين والمتفائلين في جزائر اليوم، وما تحملُهُ من أثقالٍ وتراكماتِ الماضي.



وهكذا سوف أفترضُ في البداية أن الصّدق كان عنصرًا أساسيًا في الحملة الانتخابية التي قادها سلالٌ وفريقه، بل هو القاعدة التي بُنيت عليها الحملةُ جملةً وتفصيلاً، كما أفترضُ أيضًا أن جميعَ الوعودِ الصغيرةِ والمتوسطةِ والكبيرةِ انطلقت من الحناجر بعد مرورها على مصفاةِ العقلِ وميزانِ المنطقِ والواقعِ.

وعلى هذا الأساس من حقّنا، كمواطنين، أن نتطلّع إلى ساعةِ العدّ التنازليّ وبدءِ مرحلةِ التّغييرِ التي تقودُ إلى تسليمِ المسؤوليةِ للشّباب، أو بعضِ هذهِ المسؤوليةِ على الأقل، لأننا صدّقنا، أو رضينا بالواقعِ الذي فرّضهَ منطقُ القوّة، أننا في جزائرِ المعجزاتِ فعلا، حيثُ لا حدّ للعطاءِ وهكذا يتمسّكُ بعضهم بالمناصبِ التّفيذيةِ حتّى بعد سنّ الثّمانين، مع أنّ هذهِ المناصبِ في حاجةٍ إلى تجديدٍ وتشبيبٍ وحيويّةٍ خلافاً للمناصبِ الاستشاريةِ.

لا نطلبُ من السيّدِ سلالٍ ثورةً إداريةً عارمةً يقلبُ فيها أمورَ البلادِ رأساً على عقبٍ.. فما نريده فقط لا يتجاوزُ تفعيلِ قراره السابقِ وتطبيقه بشكلِ صارمٍ، والمتمثّلِ في احترامِ سنّ التّقاعدِ في مؤسّساتِ الدّولة، وعدمِ التّسامحِ مع أيّ مسؤولٍ مهما كان حجمه وتأثيره.

ندركُ أنّ المهمّةَ صعبةً أمامِ الرّجلِ الذي بَحَّ صوتهُ في الأيامِ الأخيرةِ للحملةِ الانتخابيةِ، لأننا نعلمُ بالتّواترِ، من خلالِ تصريحاتِ وتلميحاتِ مسؤولينِ كبارٍ، أنّ البعضَ صنعَ لنفسه مناطقَ نفوذٍ داخلِ الدّولة، وصارَ من الصّعبِ زحزحته من مكانه...!!

ومن خلال هذا المعطى الخطير نطلب من السيد سلال قيادة حملة أخرى لإقناع الكبار بترك المجال للصغار، وعبر كلمات الحماس والمرح، التي ظهر بها الرجل أثناء المرافعة لصالح الرئيس المترشح، يمكن أن يفلح في دفع الكبار إلى الإيمان بأن الوقت قد حان لتظهر وطنيتهم (المركزة) فيسلموا المشعل للشباب لتتجدد الدماء، وتخرج البلاد من هذا المنعطف الحساس الذي تمرّ به...؟

نعم يمكن إقناع هؤلاء بأن مستقبلهم في أمان بعد ترك المناصب العالية، وأنهم لن يعيشوا على الهامش، ففي مقدور بعضهم المشاركة في الشأن العام عبر أدوار أخرى من خلال أموالهم وشركاتهم حينما يتولون إدارتها مباشرة بعد سنوات التستّر والتخفي وراء أسماء الغير..؟؟ كما أنّ البعض الآخر في جعبته من الخبرات الحقيقية ما يؤهله لشغل مناصب قيادية في القطاع الخاص، وأبعد من ذلك ربما استطاع عددٌ من هؤلاء أن يلفت أنظار المنظمات الدولية فتستقطبه وتنتدبه للعمل معها في أيّ مكان من المعمورة..

أما الوطنيون الحقيقيون، والمعذرة فكلّ مسؤولينا الكرام يقطرون وطنيةً وحبًا للجزائر، فما أحوج المجتمع المدني إلى خدماتهم وأيديهم البيضاء وهم الذين خبروا مؤسسات الدولة وكواليسها، وهم الأقدر بالتالي على افتكاك مكانة حقيقة لهذا المجتمع تحوُّله إلى شريك حقيقي، لا مجرد تابع يتقن فنّ الحشد والتصفيق في التوقيت الذي يُحدّد له...!!

على الجميع، السيد سلال ومن قاد الحملة معه، أن يعلموا أنه لا مفر من عملية التجديد والتشبيب إذا أرادوا السلامة للبلاد والعباد، ومن ثم تقويت الفرصة على الطرف الآخر..

وأذكر هنا بمقولة ترددت كثيرا خلال الحملة الانتخابية.. كررها سياسيون وإعلاميون ومواطنون، ربما انتقى الإعلام الرسمي تصريحاتهم بعناية..

وفحوى المقولة أن بلادنا الجزائر ولا بلاد لنا غيرها..

وهي عبارة وطنية معبرة.. أقدّر من نطق بها بصدق، وأعلن عن إعجابي بذكاء المروجين لها لأغراض سياسية فقط، ومحل الإعجاب أن هؤلاء أدركوا (نقطة الضعف) عند الجزائريين وهو حبهم الشديد لبلادهم، فأتوهم من هذا الباب.

لكن معذرة..

هل هضم الشباب الجزائري تلك العبارة وهو الذي يتابع شؤون الشعوب الأخرى من خلال الفضائيات ومواقع التواصل الاجتماعي، ويرى البون الشاسع بيننا وبين العالم الآخر..؟

استيقظوا أيها السادة.. فقسّم من شبابنا يرى عالما مغائرا وأوطانا أخرى متاحة وراء البحار والمحيطات، سواء سافر بشكل عادي أو عرض نفسه للحيتان عندما يغادر السواحل الجزائرية على قوارب الموت، أو الحياة.

يرى الشباب عوالم أخرى عندما يصل إلى بوابات دول تحترم الإنسان وإنسانيته، على أرضها على الأقل، وهناك يبدأ رحلة جديدة، أو يولد

من جديد كما يبالح البعض، حيث الحصول على إقامة وعمل، ثم جنسيّة وجواز سفر له لون وشعار مميز ومحترم في جميع مطارات العالم..

وبعد سنوات قد يعود الشاب إلى الجزائر ويُعامل على أنه مواطن من طراز آخر، فيمسكُ شرطيّ الحدود الجوازَ الأجنبيّ برفق ويضع الختمَ عليه بهدوء يتناسبُ مع حجم الدولة صاحبة الجواز، ثم يُشيّع الشابَّ بابتسامة تترجمُ مدى الانفصام الذي تعيشه شعوبنا عندما تلعنُ (العدوّ) الأوروبيّ والأمريكيّ ثم يسيلُ لعابها أما جوازات سفره وتأشيراتَه، وخدماته ومنتجاته ومستوى معيشتَه، ونظامه من دواليب الحكم إلى المرور والطرقَات وشركات جمع القمامة المنزليّة.

هناك مثل عاميّ جزائريّ مفاده أنّ المتستّر وراء الأيام سوف تُعريّه.. وأتمنى من كلّ قلبي أن يستر الله على الجميع فلا يظهرُ بيننا عريانٌ ولا شبه عريان..

فبعد كلّ تلك الوعود والأمانيّ سوف تجدون أنفسكم وجهًا لوجه أمام الشعب، والشباب منه على وجه التّحديد.. وقد لا يملكُ الشعبُ وسائلَ واضحة للمحاسبة والمساءلة.. لكنّه يتقنُ الخريشةَ على دفتر الدّيون مثل التّجار تمامًا.. وهل يفرطُ التّجارُ في ديونهم...؟؟؟

2014-04-27

الفهرس

الصفحة	الموضوع
04	إهداء
05	مقدمة
11	المَحَوْرُ الأوَّل: سياسة وأمن .. ونحن والآخر
13	سياسية بامتياز
18	أمننا الإقليمي بين مَخالبِ الأسطورة
23	نُحْنُ أفوياءِ جِدًّا...!!
28	مَآذَا بَعْدَ التَّعْرِيةِ الأَلِكْترونيةِ..؟؟
33	عُهُدَةُ المَمَانَعَةِ وَالصُّمُودِ
38	مَدُّ الجُسُورِ .. أَكْثَرُ مِنْ ضَرْوَرَةِ
43	الأبْدَاعُ الجَزَائِرِيَّةِ...!!
48	اغْمِضُوا أعْيُنَكُمْ يَا سَادَةَ...!!
53	مَالِي .. وَالدَّورُ الجَزَائِرِيَّةِ...!؟
58	مِنَ الصِّنَاعَةِ الاستعماريَّةِ إِلَى المَعَارِبِيَّةِ
63	شُعُوبُنَا تَسْتَحِقُّ أَكْثَرَ..
68	مَنْ يَخَافُ أَرْدُوغَانَ...؟؟
73	جَزَائِرُ جَدِيدَةٍ...؟؟

79	المَحْوَرُ الثَّانِي: الأحزاب السِّياسِيَّة.. أين؟ وإلى أين؟
81	مَعَ الشَّعْبِ وَلِلشَّعْبِ وَبِالشَّعْبِ
86	الْهَرَمُ لَيْسَ قَدْرًا مَقْدُورًا
91	حُكُومَةٌ ظِلٌّ.. مَا الْعَيْبُ فِي ذَلِكَ..؟
96	قُوَّةُ الْحِزْبِ.. قُوَّةُ الْجَزَائِرِ
101	فَاقِدُ الشَّيْءِ لَا يُعْطِيهِ
106	جِيلٌ جَدِيدٌ أَبْهَأُ السَّادَةِ
111	مَبْرُوكٌ... الْفَوْزُ
117	المَحْوَرُ الثَّلَاثُ: دُنْيَا الْإِنْتِخَابَاتِ
119	عَلَى طَاوِلَةِ الرَّئِيسِ الْمُنتَخَبِ
124	الْعَجَبُ الْعُجَابُ فِي عَالَمِ الْأَحْزَابِ
129	الْوَقْتُ مُتَاحٌ.. دَلِّلُوا بِقُوَّةٍ
134	الْإِنْتِخَابَاتِ.. مُشْرُوعُ نَهْضَةِ
139	عَاجِلٌ.. عَلَى جَدُولِ أَعْمَالِ الْبِرْلَمَانِ
144	إِنْتِخَابَاتُ رِئَاسِيَّةٍ بَيْضَاءَ
149	دَفْتَرُ الدِّيُونِ
154	الفهرس

صَدَرُ لِلْمُؤَلَّفِ:

- وَمَصَاتُ تَنْمُوِيَّة
- قُضَايَا وَطَنِيَّة.. مَقَالَاتُ فِي الثَّوْرَةِ وَالذَّاكِرَةِ
- مَن أَرْوَعِ الْقِصَصِ فِي التَّحْفِيزِ وَالتَّغْيِيرِ وَالسَّعَادَةِ وَالنَّجَاحِ
- قُضَايَا عَرَبِيَّة
- قُضَايَا دَوْلِيَّة
- 2010 خَوَاطِرُ سِيَاسِيَّة
- دَنْدَنَاتُ ثَوْرِيَّة
- قُضَايَا سُوفِيَّة
- الْفِرْعَوْنِيَّة.. تَجَلِيَّاتُ مُعَاَصِرَةِ
- دَنْدَنَاتُ فِي الْإِحْسَاسِ وَالتَّقَاوُلِ وَالتَّغْيِيرِ
- دَنْدَنَاتُ دِيمُقْرَاطِيَّة
- ذِكْرِيَّاتُ وَمَوَاقِفُ مَن بِلَادِ الْعَجْمِ

Innocent Skirmishes

**National Affairs
Essays in Politics**

By

Tahir Amara Ladghem

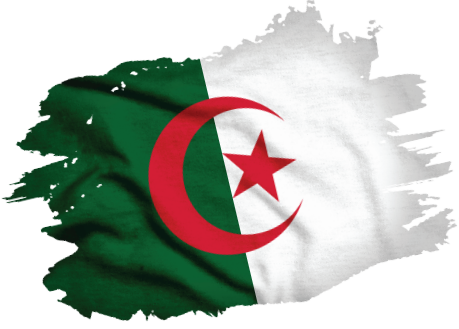
SAMI

Printing & Publishing & Distributing

EL-OUED, ALGERIA

First edition

2024 AD / 1446 AH



Tahir Amara Ladghem

National Affairs **Essays in Politics**

في بيئات أخرى يرفعُ أحدُهم قلمه،
ويكتبُ ما يريدُ دون إحساسٍ بأيِّ
نوعٍ من الحواجز والهواجس
والمخاوف.. لماذا..؟
لأنَّ ممارسةَ التخوين أو التَّخْطِئةَ
القَبْلِيَّةَ صارت من الماضي.. صارت
في عِداد السُّلوكيات المنقرضة..
أمَّا نحن.. فلا بدَّ من مراعاة عدد من
الآراء في السِّياسة، وأخرى في
الوقائع التَّاريخية، وثالثة في
المجتمع.. وهكذا..
وكلامي ليس دعوةً للفوضى
والخروج عن الثوابت، لكنَّه إدانةٌ
لتقديس ما ليس مقدَّساً من
الأساس؛ لأنَّه يحتمل أكثر من قراءةٍ
ووجهة نظر.. لأنَّ فيه سعة لا يجوز
لأحد المساس بها..

ISBN: 978-9969-574-09-8



9 789969 574098



سَامِحِي